
اتركي الماضي ميتا
للكاتبة عبير محمد قائد
قد تبدو القصة عادية
فهو ثري .. وسيم ..
وأب لطفل في الرابعة من عمره ..
ومطلق أو أرمل ..
لا يهم !!
وهي فقيرة ومعدمة ..
ولكن ..
بأخلاق أميرة ارستقراطية !!
تخفي في أعماقها ..
سر لا تقوى على التفوه به ..
كلما اقترب أحد لإفشاءه ..
سارع هو لإخفاءه جيدا !!!
by whispered moon
www.hakawelktob.com

اتركي الماضي ميتاً

الكاتبة عبير محمد قائد

اشباح الماضي التي تتوالى في المخيلة
لاتترك للنفس أن تعيش أهوائها
تجعلنا ضائعين في تفاسير غريبة لواقع
نعيشه وأخر عشناه منذ زمن
تتركنا نلهو في مرارة الذكريات فتارة
تهاجمنا ونحفو حتى نزيلها من رؤوسنا
وتارة أخرى نتوسلها بضراعة حتى تزورنا في
أشد ليالينا وحـدة !!

***

استسلم أخيراً للنداء الذي يدعوه لفتح
عينيه ...
كانت الرؤية ضبابية .. ولكن العينين
اللتين حامتا فوقه كانتا واضحتين
كالكريستال اللامع .. ابتسم بحنان
للعينين الزرقاوتين ..وانشرح صدره لصوت
المناغاة المنبعث من جواره .. فالتفت ليرى
عينين زرقاوتين أخريتين .. وخدود ممتلئة
وبشرة لامعة ..
"انظر اليه حبيبي .. أليس كالدمية؟؟"



الفصل الأول
مربية في الدير

"يشبه أمه"
"لاا .. انه يشبه والده العنيد "
اعترضت بخفة وهي تحمل صغيرهما بين يديها وتهمس بحزم
"انهض أيها الكسول.. لديك نهار حافل"
حاول النهوض ضاحكاً .. فلم يقدر..
تلفت حوله بضيق ..
ليكتشف بحيرة أنه مقيد !!
فتح عينيه بجزع حين سمع صرختها المدوية .. التفت نحوها لتحول النار بينهما...
حاول الفرار.. حاول فك القيد ..
لم يقدر..
صرخ باسمها بمرارة ..
فاتسعت رقعة النار بلاهوادة ..
سمع صوت صراخها .. سمع بكاء صغيره ...
وسمع أنفاسه الثائرة
والنار تلتهمه ..

تحرق فيه كل ذرة انسانية وشفقة ..
تحرق كل مشاعرة وتتركه جسد ..
شوهته النار..
الى الأبـد !!!
***
تمايلت الورود .. بحنان مع هبات النسيم ..
وانتثرت الرائحة الجميلة تغزو حشايا الهواء ..
داعبت البتلات الناعمة بطفولية ونهضت بسرعة تركض
"هل يعجبك ثوبي بابي؟؟"
"بالتأكيد يعجبني .. تبدين كالأميرات ياصغيرتي"
فرحة مجنونة جعلتها تدور حول نفسها بثوب ببياض الثلج ..
وتاج الورود يزين شعرها المتساقط على كتفيها
غجرية كالملاك بجمالها البريئ وعينيها الواسعتين

همست بخجل
"هل وصل؟؟"
"سيصل عما قريب"
فرحة تشق عنان السماء .. وقدر مرسوم على دروب السعادة
أغمضت عينيها تتنشق روائح الورود التي زينت شعرها ..وابتسامة تزين وجهها
وفتحت عينيها لتختفي كل الورود؟؟!!
جزع ورعب ..
وأنفاس ثقيلة تجثم عليها ..
تكبل يديها .. وتمنع صوت صراخها
ألم مزق جوانب روحها ..
ووحش شوهته النيران يسرق عذرية جسدها ..
وقسوة تملأ عينيه ..
لم تغفر لها دموعها
ولاروحها البريئة
فكما كان هو مذنب
كانت هي أيضاً مذنبة !!
وكما سالت دماء وجهه تلطخ قناعه الأبيض
سالت دماءها تلطخ ثوبها الابيض
...
كلاهما أبيض ..
شوهته النار..
واسودت أطرافه ..واحترقت أعماقه ..
تناثر رماداً ..
وبات من الصعب لملمته .. والسيطرة عليه
....
ماضٍ شوهته الذكريات
ذكريات احترقت بنار الحقد والثأر..
لم تترك أبيض الا شوهته ..
ولم تترك حلماً الا صنعت منه كابوساً
فانصاعت لعنفها وقسوتها دقات القلوب
وباتت باردة .. لاتخفق الا لتضخ بضعة دماء
احترقت وردة بالنار..
واشتعل ماردٌ بأتونها ..

أصبحت الوردة ذابلة .. وأصبح المارد أسيرها
..
فمن يفك أسره .. ومن يروي بتلاتها !!
***
تسارعت الخطوات وتشعبت ممرات مظلمة
لاترى فيها بصيص ضوء..
تتخبط في جدران من حجارة باردة صماء..
تحاول البحث وايجاد مخرج
ولاتجد سوى الضياع
حفيف ثوبها الذي كان أبيضاً يصم الأذان
صدى يؤلم القلوب
امتزج بنشيج خرج من أعماقها
حاولت كتمه والتغلب عليه
وكلما وجدت باب رأت خلفه القناع!!
...
فتحت عينيها برعب ..
انتقلت نظراتها حولها برهبة وخوف .. تتأمل
الجدران المطلية باللون الازرق الفاتح كلون
مياه نهر رقراق استندت على مرفقها ونهضت
ببطء .. أدارت رأسها حولها وتلفتت في كل
مكان !!
النافذة المشرعة بستائرها البيضاء المطرزة
بالزهور الزرقاء و الوردية.. الطاولة
الصغيرة من خشب الزان وقد ذبلت عليها
أزهار برية متنوعة الألوان ..
استقامت جالسة على الفراش الضيق وغطت
عينيها بكفيها تحاول السيطرة على
ارتجافتها القوية ولازالت بقايا الكابوس
الذي هاجمها تراودها بلارحمة .. دعت ربها
بألم:
-رباه .. أرجوك ساعدني .. دعني أنسى
ماكان .. دع الألم يخف والجرح يندمل
يارب.
ثم ككل صباح تركت فراشها ببطئ
استحمت وارتدت الثوب الرمادي المعتاد
ونزلت الى قاعة الطعام ..
***

اتركي الماضي ميتا

الكاتبة عبير محمد قائد

فتح عينيه ككل صباح ..
يناظر القتامة التي تحوطه .. جدران سوداء
تزينها لوحات بلون رمادي وأبيض .. صور
قاتمة تماثل حياته التي كانت .. مفروشات
بلون أسود بخطوط بيضاء مستقيمة .. حادة
.. ودفئ مفقود !!
نهض يمارس طقوس نهاره المعتادة ..
استحمام .. ارتداء زي الفروسية .. والسوط
الجلدي ذو المقبض الأسود يلمع في قبضته..
لاتوجد مرآة !!
فقط انعكاس قاتم لوجهه في الزجاج الذي
يفصل غرفته السوداء عن العالم المشرق
بخارجها !!
حالما خرج ارتدى قناعه المعتاد ..
ابتسامة باردة على شفتين شقتهما التعاسة ..
وعينين جامدتين تفتقدان معاني الحياة ..
تأمل منزله ..
لايشبه غرفته بشيء ..
منزل عائلي .. جدرانه دافئة .. بلونيها
الأخضر والبيج .. اللوحات اللتي تمثل
مناظر طبيعية من بلدته القديمة وبلاده
ككل تزين كل الممرات .. وكل الأبواب
عَلقت عليها الأيقونات ..
سلم حلزوني بديع من الرخام والخشب يصل
به الى بهو واسع بأرضية خشبية مصقولة ..
انتشرت في جوانبها التماثيل الرخامية
والطاولات التي وضعت عليها أنيات الورود ..
ابتسم بسخرية ..
كل شيء في بيته يضج بالحياة ..
والحيوية .. والدفئ ..
ماعداه !!
سيظل عمره كله ..
ميت .. يتظاهر بالحياة !!
من رأسه لأخمص قدميه أسود ..
قميص وسترة .. جلدية سوداء .. وسروال
ركوب أسود وبني ..
وحذاء اسود برقبة عالية ..

واجهته مربية المنزل .. سيدة بدينة ترتدي ثوباً واسعاً مزركشاً .. أصر هو أن ترتديه على الدوام .. ابتسمت بوجهه كالعادة وهمست:

-صباح الخير سنيور .. هل ستتناول افطارك؟؟

ابتسم لها كالعادة :

-حين عودتي من تمرين الصباح كوينزا..

لايزال صوته مبحوحاً .. ولكن لابأس .. كثير من الناس لديه تلك النبرة..

ابتسمت له بإشراق وتركته .. نظر عبر المرج أمامه حال خروجه من الباب الخلفي لمنزله .. كان حصانه بانتظاره ..

أبيض ناصع ..

فهو لايسمح بالسواد لسواه!!

داعب خطمه .. وأعطاه السكر .. ثم همس له :

-ستكون جولة سريعة ..

صهل الحصان القوي وكأنما يرد عليه ..

وبلاتردد امتطاه بسهولة ..

بلاسرج .. ولا لجام ..

تمسك بقوة بعرفه الأشقر ولكزه بكعب حذاءه الجلدي .. فانطلق به لايولي ..

استمرت الجولة مايقارب نصف الساعة ..

عاد بعدها لبيته .. ووجده بانتظاره ..

يجلس على حافة السياج ينظر له بعينيه الرماديتين الواسعتين ويهتف بصوته الطفولي :

-لما لم تنتظرني؟؟

هتف به بقوة:

-لأنك افرطت بالنوم.. وأنا لا أحبذ الانتظار بيرتو..

زم بيرتو شفتيه الورديتين وقفز يتعلق بعنق أبيه وهو يقول بحنق:

-في المرة القادمة أيقظني ..

ابتسم .. تلك الابتسامة العادية .. التي تكشف عن صفي أسنانه فقط..

وقاد ولده الى البيت ..

كان الجميع هنــاك ..
تأملهم بصمت وهو يترأس طاولة الطعـام ..
أمه السنيورا فاليريا التي ترأست الجهة
المقابلة .. سيدة نحيلة .. عصبية .. سمراء
بعينين خضراوتين ..
شقيقته الصغـرى .. أنيتا .. سمراء بشعر ناعم
أسود اللون يصل كتفيها حرة كالفراشات ..
تبلغ الثامنة عشر..
جوهان .. ابن عمه .. في الخامسة عشر..
أسمر بعينين رماديتين .. لايهمه سوى الرسم
..
اليساندرو.. عمه الأرمل.. والد جوهان .. في
التاسعة والثلاثين .. أسمر بعينين رماديتين
وقامة طويلة .. زير نساء.. بعقلية متحررة ..
وأخيراً بيـا .. ابنة الخالة .. في الثلاثين ..
أرملة بلا أطفال .. سمراء بعينين سوداوتين ..
فاتنة الملامح .. وتسعى خلفه بكل جهدها
!!

وهاهي أول فصول المسرحية اليومية ..
-حبيبي بيرتو تعال الى جواري..
قالتها بيـا بحنان ..
فكشر الطفل الذي ورث عصبية أبيه
وتجاهل ماقالته وتوجه الى أنيتا ليجلس الى
جوارها فقالت المرأة بحنق:
-مارسيلو مابه هذا الطفل؟؟
تجاهل مارسيلو ماقالته كالعادة وبدأ
يتناول قهوته السوداء ..
-بني .. هل حددت موعداً لاستقبال
المربيات؟؟
رفع عينيه ليرى وجه امه القلق .. والتي
واصلت:
-اتصلوا من دار المربيات وسيرسلونهن حالما
تحدد الموعد ..
-لا أريـد مربية..
اعترض بيرتو بانزعاج ..
فتجاهله الجميع ..وقال مارسيلو بهدوء:
-لن أحضر مربية من الدار أمي.

عقدت أمه حاجبيها ونطقت بيا بالسؤال
عنها:
-ومن أين ستأتي بها؟؟
صمت للحظات قبل أن يقول بهدوء:
-الديـر..
تبادل الجميع نظرات مستنكرة حتى بيرتو
الذي لم يفهمها ومارسيلو يواصل:
-سأذهب مساء اليوم للاتفاق مع الأخت
الرئيسة .. وستصل المربية غداً.
-غداً ...!!!
صاحت والدته وأضافت باستنكار:
-ولكننا لم نجهز شيئاً بني. كيف
ستفاجئنا بها بهذه الطريـقة؟؟!!
نظر لها ببرود ثم قال:
-انه ولدي .. وهو قراري .. هل لدى أحدكم
اعتراض أخر..
تبادل الجميع النظرات .. قال عمه هازاً
كتفيه:

-لايهم مارسيلو طالما ستهتم بشؤن بيرتو
فقط .. ولاتتدخل بأحدنا؟؟
ابتسم ساخراً:
-لاتقلق عمي أليساندرو .. المربية لن
تنزعج من زياراتك النسائية .. ولا من
عربدتك حتى ساعات الصباح الأولى.
ابتسم عمه بجمود ولم يعلق في حين قالة
بيا بسعادة:
-أنا موافقة على هذه الفكرة .. فقدوم
راهبة من الدير أفضل بكثير من المربيات
العاديات..
نظر لها باستخفاف :
-انها ليست راهبة .. هي تعيش معهن فقط ..
احتقن وجهها الجميل وحاولت الاعتراض الا
انه أشاح بوجهه عنها والتفت لبيرتو الذي
كان يحرك ملعقته بلاهدف في طبق
الحبوب الخاص به :
-تناول طعامك كاملاً .. ولاتتصرف
كالأولاد الحمقى..

نظر له الطفل بغضب وعينين تلمعان ..
فانقبض قلبه للحظة قبل أن يشيح عنه
ويقول للجميع بصوت حاد:
-ستصل المربية غداً .. لا أريد أي تصرفات
هوجاء .. لا أريد اي تعليقات حمقاء.. لا
أريد أن تشعر بالضيق في أولى أيامها معنا ..
أتفهمون؟؟!!
صمت الجميع ولم يرد أحد ..
فعاد هو ليتناول طعامه بصمت هو الأخر..
لقد حذرهم .. وقد أعذر من أنذر؟؟!!

***

كان الهدوء مسيطراً كعادة الدير في
المساء ..
الراهبات يصلين .. وكل التلميذات في
الحجرات يدرسن ..
هي تمردت على هذه العادة ..
جلست على مقعد خشبي في حديقة الدير
تراقب حشرات الليل تداعب وريقات الزهر
البري .. مبتسمة بهناء .. تداعب خصلات
شعرها المتمردة نسمات الهواء التي تحمل
عبق العشب الندي ..
عينيها أراضٍ خصبة .. فيها الكثير
والكثير.. ولاشيء يمكن أن يسبر غورها
..
تنهدت وهي تشكر الله على السلام الذي
تحظى به لحظاتها هنا .. وتدعوا منه أن
يستمر..
-سيليا!!
انتفضت واقفة تنظر للأخت الرئيسة ..
بلباسها المميز وغطاء رأسها المحكم..
-مساء الخير أختاه..
تمتمت بخجل .. فابتسمت المرأة الأكبر
سناً واقتربت منها ..
-مساء الخير.. هل حقيبتك جاهزة أم
تحتاجين مساعدة؟؟
-انها جاهزة منذ الصباح ..
همست بقلق.. فسألتها:

-لما القلق في صوتك سيليا؟؟
تنهدت ونظرت لها بحزن:
-سأشتاق للجميع هنا..
-من يسمعك يقول بأنك تقضين وقتك كله معنا ..
اعترضت الأخت مداعبة فابتسمت سيليا بحرج:
-سيليا بنيتي .. منذ جئتي الينا وأنت تقضين وقتك كله في حديقة الدير أو في داخل دار العبادة .. تعيشين معنا ولكن لوحدك بنيتي .. ولكن هذه الفرصة .. انها مميزة لك حبيبتي .. عائلة دوناتو من أقدم العائلات في توسكاني .. وهي مميزة بمكانتها العالية وثراءها .. وستقضين معهم أوقات لاتنسى ..
حبست سيليا أنفاسها وهي تفكر بأن هذه هي المشكلة .. هي تخشى العائلات الضخمة .. تخشى الصخب .. تخشى التجمعات .. تريد البقاء وحدها .. تشكو همها لحشرات الليل ..
نظرت للأخت الرئيسة تريد أن تشاركها ماتفكر به فوجدتها تبتسم برقة وتهمس:
-هبة السنيور دوناتو للدير كبيرة للغاية .. وذهابك للاعتناء بطفله الصغير جميل لن ننساه لك أبداً .. والأن اذهبي لتنامي فالسيارة ستأخذك لمنزل العائلة في الصباح الباكر..
اومأت باستسلام وصعدت الى حجرتها الصغيرة ..
بعد أن غيرت ثيابها استلقت على فراشها الضيق .. وتركت عينيها معلقتان بالسقف العالي المصنوع من الجص .. بقنديله المتدلي تتراقص حوله حشرات الليل ..
اغمضت عينيها ودعت ..
" رباه .. لاتدعني أنم !! "
ولكن تعب النهار تمكن منها .. وفي غفلة من تيقظها ..

استسلمت للنــوم ..
***
كعادة النار حيــن تشب ..
لم يقدر أحد على السيطرة عليها ..
حاول الركض بعيداً .. يصرخ بألم .. يبحث عن ماء ..
عن شيء ما يطفئ به النيران التي استعرت ولم يجد ..
رأى عينيها الزرقاوتين تتوسلانه بصمت ..
ترجوانه .. بلافائدة ..
كانت تحترق !!
سمع الصراخ والعويـل .. وبلحظـة طائشة ..
قفز الى النــار..
فالحياة بدونهم .. لاتسوى ..
....
مر شريط حياته أمامه بلمحة بصـر..
تذكر يوم رأها للمـرة الأولى ..
كان يسبح .. وكانت تغرق ..

أنقذها بصعوبة .. ووقف مشرفاً عليها وهي تلتقط أنفاسها ..
-ستموتين يوماً ما بسبب حماقتك ..
قالها بحدة .. فنظرت متعبة .. منهكة ..
وقبل أن تفقد وعيها كان يحملها بين ذراعيه القويتين الى جهة غير معلومة !!
تأملها بدهشة .. ماتفعله به غريب .. يرغب بحمايتها من كل أذى.. شعرها الناعم بلون الرمال الذهبيـة وعينيها بلون السماء ..
وجسدها الصغير مكتمل الأنوثة !!
فتحت عينيها لرؤيته يحدق بها بإمعان؛
-أنت وقـح ..
قالتها بصوت كتغريد العصافير أثار ضحكه .. وبعدها ابتسمت له ..
....
أخيراً وصل اليها ..
وجدها نائمة .. أم لم تكن كذلك ..
حملها بين ذراعيه .. يحاول أن يحررها من أتون اللهب المستعر..

صرخ باسمها بجنون ..
ولكنها كانت هامدة .. كالجثث !!
بحث عنه بعينيه .. وجد المهد البعيد..
وقد غشته النـار.. وغشت الدموع عينيه !!
أراد الخروج بها .. فهاجمته النـار..
بلارحمـة ..
بلاشفقـــة ..
أحرقته .. أحرقته حتى العظـم .. !!
***
ابتسمت بإشـراق..
السماء غائمة .. ولكن لابأس .. لن يهطل المطـر..
فلايزال موسم الأمطار بعيداً ..
التفتت لنانا بجوارها وابتسمت لها ..
لامست غطاء الدانتيل الذي يغطي شعرها
وشعرت بالقلق الممزوج بالفرح ..
-متى سنصل نانا؟؟
-لايزال الوقت مبكراً على الاستعجال

يازهرتي ..
ضحكت بخجل وقالت مداعبـة:
-لاريب انه متلهف هو الأخر..
ضحكت نانا .. وضحكت هي ..
وتوقفت الضحكات حين قطعت السيارة التي تقلها منعطف .. لتجدا النـار..
اتسعت عينيها برعب ..
حاولت الصراخ .. ولكن ..
الذراعين اللتان أمسكتا بها كانت قوية .. قاسية .. رأت نانا تصرخ .. والسائق يحاول ..
ولكن!!
لافائدة ..
قسوة العينين اللتين نظرتا لها من خلف القناع !!
جمدتها .. تركتها بلاصوت ..
كالجليـد .. رمتها بقسوة ..
وحاصرتها النـار.. صرخت بقوة وهي تحارب .. تحاول تخليص نفسها .. ولكن الوحش كان قوياً .. جامداً بلارحمـة .. كالنار

التي أحاطت بهما!!
رمت السعادة بنظرات الوداع..
وحلقت التعاسة عليها كالنسور اللاحمة ..
تركها بعد أن حطم براءتها .. لأيام .. وليال
.. لاترى من ظلام جحرها سوى بعض طعام ..
ليعود في ليلة .. مظلمة .. أسوأ مما قبلها ..
اتسعت عينيها برعب ..
مظلم كتلك الليلة .. مخيف كأفكارها ..
نظراته معتمة .. قاسية .. بلاحياة ..
تراجعت عنه ..
ليمسكها بقسوته .. ويرفعها اليه بجبروته
..
هطلت دموعها ترجوه ..
ولم يسمع ولم يرد ..
ومارس قسوته عليها .. أخذها كما الليلة
الأولى .. ببرود .. وبلارحمة ..
بكت واعترضت .. وذهبت توسلاتها أدراج
الرياح ..

وبعد انتهاءه .. لامست شفتاه أذنها ..
بكلمات من هولها باتت أقسى من كل
مافعل!!
......
وفتحت عينيها .. لتتردد همساته في طيات
عقلها
كتميمة غدر ووسوسة شيطان حطم كل
حياتها!!
فتحت عينيها .. لتجد سقف الجص باهتاً
تحت أنوار الشروق ..
والستائر الرقيقة تحركها النسائم ..
أغمضت عينيها وشكرت ربها لواقعها
البعيد عن الأسى الذي عاشته منذ زمن لم
تعد تعرف عدد سنواته .. وقامت تواجه
ككل يوم .. واقع تهرب به من خيالات
تهاجمها بإصرار.
وقفت بانتظار السيارة التي ستقلها لمنزل
العائلة الثرية .. لن تنكر حماسها والاثارة
التي لامست شغاف البرودة التي أحاطت

بقلبها منذ زمن .. ولكنها كعادتها تخشى المجهول .. نظرت للأخت التي رافقتها للوداع ورات ابتسامتها المشجعة .. فضمت حقيبتها الصغيرة اليها بقوة وبادلتها الابتسامة الصغيرة .. وعاودت النظر للطريق حيث بدأت السيارة الفارهة بالظهور..
توقفت السيارة على مقربة منها ونزل سائق صغير في السن بشوش الوجه نظر لها بابتسامة واسعة تملأ عينيه ووجهه ..
-أنت المربيــة الجديدة ؟؟!!
اومأت على استحياء وهي تهرب من عينيه الراقصتين بجذل .. ورات يحمل حقيبة ثيابها الخفيفة على كتفه وهو يقول بحماس:
-الجميع بانتظارك هيا كي لانتأخــر..
نظرت مجدداً للأخت بجوارها ورأتها تبتسم بآلية فلم تطاوعها ذاتها المريضة بأن تبتسم لها مجدداً .. فيكفي ابتسامات لهذا

اليوم.. ولايزال اليوم في أوله؟؟!!
حالما دخلت الى السيارة انتابها احساس غريب ..
استندت الى المقعد الجلدي وأخذت نفساً عميقاً .. وضمت ذراعيها اليها وهي تراقب ملامح السائق الصغير عبر المرآة الداخليـة .. وعقلها يحاول جرها للذكريات حاولت جهدها ألا تهاجمها في وضح النهار !!
حبست أنفاسها وابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر للطريق الطويل الممتد أمامها ..
تتوالى المنعطفات وبين المنعطف والأخر تتسع عينيها بذعر بانتظار رؤية النـار..
تمتمت بدعاء صامت راجف .. كي ينتهي هذا اليوم بخير.. بلا جنون كما تتخيل.
أغمضت عينيها وهي تسند رأسها لمسند المقعد .. جسدها يهتز والسيارة تقطع طريقاً غير ممهد .. تحاول الاسترخاء كي لاتسقط في دوامة الذكريات السوداء ..
تحاول الحفاظ على مظهرها المتماسك

وعينيها تقفزان بذعر حين يظهر طريق ماخلف كل منعطف تبحث عن لمحات الدخان والنار المستعرة .. بقلب راجف وفكر مشغول ..
حتى بدأت السيارة بصعود تلك التلة .. التي اكتست برداء أخضر رائع والطريق يشق قلبها كأفعى رمادية ضخمة وعلى جنبيه سياج خشبي قديم ولكنه قوي ومتين ..
وبدت القرى المتناثر في تلك الضاحية من توسكاني ظاهرة تحت أنظار سيليا والسيارة تصعد بهما نحو القمة .. نحو ذاك القصر الرائع الذي لم ترى قط مثله ؟؟!!
وعبر قنطرة حجرية ضخمة مرفوعة فوق عمودين من الرخام الذي تسلقته النباتات بشكل كثيف دخلت السيارة الى باحة القصر الأمامية حيث توقفت أمام البوابة الخشبية الضخمة وترجلت منها سيليا ببطء وهي تنظر حولها للمكان الذي انتشرت فيه أصص النباتات والطرقات الحجرية التي تقود لمناطق مختلفة بالكاد تظهر معالمها .. واقترب منها السائق الشاب يقول بحماس:
-تعالي معي سنيوريتا ..
رافقته تخفي ذهولها من المكان الواسع الجميل وتوجهت معه الى البوابة التي فتحها بسهولة ليقودها للبهو الواسع الذي انتشرت فيه التماثيل والطاولات الغالية الثمينة وانتصب أمامها السلم الرخامي الذي يقود للطابق العلوي ورات على قمته تلك السيدة النحيلة .. التي حالما رأتها تجهم وجهها وقالت بعصبية:
-هل وصلت أخيراً رافييلو؟؟ لما تأخرت؟؟
صمت الفتى التي عرفت اسمه رافييلو والمرأة الكبيرة تعنفه بقسوة قبل أن تشير بيدها لينصرف فيفعل دون نقاش وابتسامة خجولة على شفتيه ... لتلتفت المرأة لسيليا وتقول بحزم:
-أنت المربية الجديدة..

صمتت سيليا واكتفت بإيماءة خافتة من رأسها فهزت السيدة رأسها وهتفت:
-كوينزا ..
التفتت سيليا بسرعة نحو باب صغير جائت من خلفه كوينزا بابتسامتها الدائمة تنظر للمربية بفضول والسيدة فاليريا تقول بحدة:
-انها المربية .. خذيها الى غرفتها لترتب أغراضها قبل موعد الغداء ..
-حاضر سنيورا..
وأشارت للفتاة أن تتبعها وهي تبتسم لتسرع فاليريا وتسأل:
-لم نعرف اسمك يافتاة ؟؟
نظرت لها سيليا بهدوء وهمست بصوتها الناعم:
-سيليـــا ..
رفعت فاليريا حاجبيها وقالت:
-اسم جميل بنيتي .. والأن اذهبي لتغيري ثيابك وتستعدي للغداء ..

أومئت سيليا وتبعت المربية البشوش بهدوء الى غرفتها في الطابق الاول ..
تلفتت سيليا للغرفة المشرقة التي أدخلتها لها كوينـــزا .. جدران بورق حائط أزرق ومفروشات يغلب عليها اللون الأبيض والزهري .. غرفة ناعمة ومرتبة ..
-أعجبتك؟؟
التفتت للمربية وقالت بابتسامة مقتضبة:
-انها جميلة .. شكراً لك.
اتسعت ابتسامة المربية وأشارت لباب جانبي:
-هذا هو الحمام ... والباب المجاور لباب الغرفة هو لغرفتي أنا بإمكانك مناداتي إن احتجتي لأي شيء أنستي.
-شكراً لك كوينزا.
تركتها حينها المربية فاتجهت سيليا لتوضيب ثيابها القليلة في الدولاب .. ثم اسرعت لأخذ حمام قبل أن ترتدي ثوباً رمادياً بسيطاً يصل الى منتصف ساقيها بقبة

بيضاء دائرية وخصر ضيق .. وحذاء بكعب منخفض .. تأملت نفسها في المرآة ..شعرها خلف عنقها مشدود بقوة .. ملامح وجهها بارزة واضحة بشرتها صافية ونقية .. أخذت نفساً عميقاً واتجهت للأسفل..

***

توقفت السنيورا فاليريا أمام أفراد عائلتها وهتفت بالغوغاء المتصايحة بحدة:

-توقفا عن الصراخ ..

التفت الجمع اليها .. أليساندرو بابتسامته الساخرة .. أنيتا بلامبالاتها المعتادة وبيا بعصبيتها وهي تنهض على كعبين بطول عدة انشات صارخة بحنق:

-اطلبي منه الصمت عمتي فهو لايطاق ..

-عليكي احترامي بيا فأنا عمك على كل حال ..

تأوهت بحنق وهتفت تواجهه:

-أي عم أنت ؟؟!!! تلاحق صديقتي كالنمور ولاتهدأ حتى تفسد علاقتي بكل منهن حولي بسبب ألاعيبك ورغباتك الفاسقة..

قهقه أليساندرو وقال مشعلاً سيجاره بأصابع واثقة :

-لاشأن لكي بما أفعله مع نسائي .. افعلي مايحلو لك أنتي واتركيني بحالي..

-لا لن أفعل .. وهذه المرة سأخبر مارسيلو فقد أصبحت لاتطاق..

صرخت بحنق فنظر لها باستخفاف ناقضته بشدة تلك الارتجافة في أصابع يديه وهو يشعل سيجاره بتوتر..

-توقفا أنتما الاثنان على الفور..

صاحت فاليريا بغضب حقيقي لتتسمر سيليا أمام الباب وهي تلقي نظرة على تلك العائلة التي ستقضي معها وقتاً ليس بالقصير..

لينتبه لها أفرادها وتطالها النظرات الفضولية ..

تنقلت عيناها عليهم .. النساء الثلاث والرجل الطويل والصبي الغر الجالس بأفكاره الخاصة التي لاتهتم بمن حوله وبين يديه دفتر رسومات وبيده قطعة فحم صغيرة.. ونظرته الخاطفة اللامبالية اليها .. المرأة الفاتنة التي رشقتها بنظرات تقييمية من رأسها لأخمص قدميها قبل أن تعتلي شفتيها المغريتين ابتسامة ساخرة وتشيح عنها .. الفتاة التي اعتدلت على كرسيها لتلقي عليها نظرة مهتمة بابتسامة حقيقية .. والرجل الطويل الذي نفث دخانه ببطئ .. وه يقيمها بنظرات أرسلت قشعريرة باردة على طول عمودها الفقري لتشيح عنه بسرعة للسنيورا فاليريا التي قالت بارتباك:

-مرحباً بك سيليا تعالي وتعرفي على العائلة..

تقدمت بخطوات مترددة ساق تسحب الأخرى .. وبرودة تجتاحها لتقف بجوار السنيورا وتنظر للأرض تبحث عن الطفل الذي سوف تعتني به لتراه هناك في أخر الغرفة .. يجلس بصمت يناظرها بفضول ..

-هؤلاء أفراد عائلتي سيليا ..

وبدأت تعرفهم الواحد تلو الأخر.. ثم قالت مشيرة للصغير:

-وهذا سبب قدومك الينا .. بيرتو ..

قفز الصغير نحوها ووقف أمامها بصمت .. تأملته لوهلة .. قبل أن تبتلع ريقها بتوتر وتهمس بصوت بالكاد يُسمع:

-كيف حالك؟؟!!

التمعت عيناه الرماديتان بقوة وحدة وانعقد الحاجبان الكثان بنظرة لاتتناسب سنه الصغير وهتف بقوة:

-أنا بخير ولا أحتاج لمربية ..

اتسعت عينيها بدهشة وتراجعت خطوة للوراء لتلك العدائية في صوته وعينيه ..

-بيرتو .. ماهذا الذي تقوله يافتى؟؟

صاحت جدته بعصبية لينظر لها بعند

ويزم شفتيه الصغيرتين وهو يجز على أسنانه هاتفاً بسخط:
-لا أريـد مربيـة .. لا أريـ.....
-بيـــرتو ..
تصاعد الصوت الزاجر بحدة جعلت الكل يلتفت نحو باب الشرفة المفتوح على مصراعيه ..
وقف هناك ينظر الى الجمع بتوتر لم يظهر منه شيء على قناع وجهه البارد .. لم يظهر سوى ارتجافة عضلة فكه بقوة أخفتها الظلال التي يختبئ خلفها .. وقبضة قوية اشتدت حتى ابيضت مفاصل أصابعه المشدودة .. نظرته العاتية اشتملت الكل ماعداها .. زائغة مرتبكة تبحث عن مركز تحط عليه حتى التقتطتها عينان رماديتان تشبهانها .. ريقه الذي بجفاف حجر بالكاد استطاع أن يبتلعه وصوته القادم من أعمق أعماقه يهدر بحشرجة لم يستطع السيطرة عليها وهو يزجر ولده أن يحترم مربيته الجديدة ..
سمع صوت أمه قادم من بعيد يدوي يصارع ليصل اليه عبر الطنين الذي اجتاح أذنيه ... تعرفه بالمربية الصغيرة .. حينها فقط .. رفع عينيه اليها ..!!
....
نظرت اليه ببرود .. وكأنما نظراتها شفافة تتجاوزه ولاتكاد تقع عليه ..متباعدة .. نظرات لاتمت لبشري بصلة .. نظرات جماد .. بلاروح .. !!
كان شبحاً أسود انتصب امامها .. شبح بلاملامح .. زرع برودة كالثلج الى أطرافها .. كله أسود .. من رأسه المكلل بشعر داكن الى ملامحه الداكنة مروراً بملابسه وحذائه الأسود .. وكأنما أعلن حداداً لن يفكه قط .. رفع لها عينين دخانيتين .. تماثلان تلك العينين التي رأتهما لطفله .. !!

أنفاسها تحشرجت بداخل طيات صدرها وهالة السواد تقترب منها كظل ضخم سقط أمامها .. رفعت عينيها اليه ونظرت لملامح وجهه التي انجلى عنها ظلالها .. وسمعت صوته الأجش يسأل عن أحوالها .. فرسمت تلك الابتسامة التي دربتها عليها الراهبات وهمست بخفوت:

-بخير .. شكراً لك سنيور ..

أومأ لها وجذب صغيره نحوها وقال:

-هذا بيرتو .. شقي قليلاً ولكنه سينصاع لك في الأخير ..

نظرت للصغير الذي أعلن عصيانه بعقدة حاجبيه .. وهمست بلامبالاة:

-لاتقلق سنيور .. سنتفق معاً ..

نظر لها بارتباك ..

شعرها المزموم خلف عنقها .. عنقها البض الطويل .. عينيها اللتان ترسلان تلك النظرات الدائخة التي لاتستقر على قرار ..

نظرة خاوية بلامعنى .. نظرة سُرقت منها الحيـاة ..

نظراته كانت كسهام من نار..

تلسعها بقوة لم تعتدها .. شعرت به يرى خلف النظرة الواهية .. يخترق عمق دماغها ويقلب صفحات يكتشف بها خبايا أسرارها .. تراجعت وهمست :

-سأذهب الأن .. اعذروني.

-الى أيـن؟؟!!

صاح معترضاً فتوقفت مندهشة .. لقد انتهى اللقاء والتعارف .. فلماذا الاعتراض .. بقيت صامتة وهو يقول بتوتر:

-خذي بيرتو معك .. سوف يبقى برفقتك اليوم .. سيتناول وجباته معك في المناسبات الخاصة وغير هذا فستأكلان أنتما الاثنان معنا..

رفعت حاجبيها بدهشة وشعرت بنظرات الاستنكار تلسعها وتعود لتنصب على ذلك الرجل الذي حسم كل اعتراض بقول :

-أريد لبيرتو أن يقدرك ويحترمك سنيورا ..
ولن يحدث هذا حين تأكلين وتشربين
برفقة خدم المنزل..
نظرت له بحيرة .. ووجدت نفسها تهمس
بخفوت:
-سنيوريتا..
عقد حاجبيه .. فأضافت بصوت بارد :
-أنا أنسة .. لم أتزوج قط ..
ارتجفت عينيه .. وانقبضت أصابعه بقوة ..
وانبح صوته وهو يقول بشحوب:
-سنيوريتا .. المعذرة لقد أخطأت ..
أشاحت عنه .. وتصاعد الدخان أمام عينيها
.. حتى غامت نظراتها وقبضت كفيها اليها
بقوة ونظرت للأرض تحت قدميها .. لم تعني
لها الاعتراضات التي تسمعها .. هو سيد
المنزل وهي هنا لتنفذ أوامره بلانقاش ..
ولاتظن بأن أحد يجرؤ عى اعتراض أوامره ..
ولهذا فلم تتعب نفسها بالنقاش ..

ترفل ثوبها حولها ..
ببياض الثلج تحت شمس ساطعة وسماء
نقية
شعرها الغجري مرتب حول وجهها وعلى رأسها
عقد الورود ..
تصعد السيارة التي تقلها الى كنيسة
البلدة .. حيث تصبح السنيوريتا الصغيرة ..
عروس !!
ابتسامتها فاتنة
وأصابعها تعبث بباقة الورد في حجرها ..
ترسم على شفتيها أجمل ابتساماتها
وترسل من عينيها أجمل نظراتها ..
حتى جاء المنعطف ..
واغتمت السماء بالدخان
حاربت الذراعان اللتي تطوقانها .. بعنف ..
لم ترى أي شيء
فقط غمامة من دخان أسود
وقناع أبيض ..
وصوت قادم من أعماق جحيم !!

تناثرت الورود
وامتلأ البياض بالسواد ..
وعلى حجارة بقساوة الصلد عرفت أسوأ لياليها
..
برد .. وحدة .. وذعر من مصير أسود ..
بوابة زنزانة تفتح مرة واحدة ..
لترى وحشاً شوهته النار..
وتسمع توعدات و قسوة بصوت لاتفهم منه
سوى فحيح النار..
ومرارة ماكان ..
تلامس بشرتها النقية كثلوج شهر كانون
الثاني..
أصابع يغطيها الجلد الأسود ..
باردة .. قاسية ..
هطلت دموعها ببراءة تنشد من قلب الوحش
الرأفة والرحمة..
فلم تسمع صدى لها سوى القسوة !!
قبض على مرفقيها بقوة وسحبها عبر الممرات
الحجرية ..
توسلته
قاومته .. ولم تعرف منه النجاة ..
وكاهن الشيطان ينفذ كل مايطلبه منه ..
رفضت .. وصرخت تعلن احتجاجها ..
فهي لن تكون عروس الشيطان أبداً ..
أبداً .. أبداً ..
....
فتحت عينيها بقوة ..
كعادتها كل صباح .. لقد تسلل النوم
اليها !!
هجم عليها بسبب تعبها .. أغمضت عينيها
من جديد
كل جسدها يؤلمها وكأنما عادت لتنام
على تلك الأرض القاسية
عادت لتتوسد الكوابيس الثقيلة ..
انسابت دمعتها بقهر..
متى تتخلص من وجع تلك الكوابيس ..
متى تتحرر من هم تلك الليالي ..

متى؟؟!!
....
***

ربت على ظهر الجواد الأبيض بحنان نادراً مايلقيه لغير صغيره .. ولامس عرفه الأشقر وهو يهمس له:
-ارتح الأن .. وبعد غد سأخذك للمراعي عند سفح الجبل ..
صهل الجواد بخفوت وكأنما يؤمن على كلام سيده وتهادى الى حقله الذي اعتاد عليه .. وراقبه هو بثبات وعيناه تغيمان خلف ذكرى لاتنفك تهاجم سواد لياليه وتحرمه النوم ..
أغمض عينيه وضغط بقوة عليهما .. ليعاوده ذاك الدوار .. تشبث بالسياج وشحب وجهه ووجد نفسه يبحث عن مقعد ليجلس عليه ببطئ .. عيناه تؤلمانه كنغزات من سكين حامٍ وعاد الصداع ليهاجمه بلارحمة ..

لاشك بأن الأمور ستسوء.. عليه الصعود الى سريره ..
نهض ببطء وسار الى داخل المنزل لايزال الجو هادئاً فقد خرج هذا الصباح مبكراً ..
وقف على اولى درجات السلم متشبثاً بسياجه بضعف وقد بدأت الدنيا تعاود دورانها بامتياز حوله ..
أخذ نفساً عميقاً وشعر بالعرق البارد يتصبب منه بغزارة وموجة غثيان تهاجمه فأغمض عينيه واشتدت قبضته على السياج وشعر بالضعف يجتاح ساقيه ... هل حان الوقت ؟؟!!
فكر بمرارة .. واجتاحه ذعر غير مسبوق ..
وشهق للهواء رافعاً عينيه ليراها هناك ..
تنظر نحوه بصمت ..
اتسعت عيناه رغماً عنه ..
رآها تقف بتلك الهالة التي ترافقها منذ رآها للمرة الاولى ..
هالة البراءة التي حطمها وحش بلارحمة ..

مكسورة .. مقهورة .. بريئة لحد الألم ..
وانتفض داخله بعنف .. رآها تقترب ..بهدوء
وتنظر له بلامبالاة ..
أنفاسه المتسارعة ودقات قلبه المتوثبة
شفتاه الجافة وعيناه التي فقدت بريقها ..
-هل أنت بخير سنيـور؟؟!!
قالتها بمشاعر .. متجردة .. بصوت لاتهتز
نبراته باهتمام أو قلق ..
ابتلع ريقه ورفع رأسه .. ليس مكان الضعف
أن يسكن عينيه .. بالذات امام مخلوقة
مثلها!!
بريئة .. ومذنبة .. بقدره هو !!
التمع العزم في عينيه وتغلب حقده
وعنفوانه على ضعفه المرهق والتوت شفتاه
في سخرية ورفع ساقه الواهية بشدة كادت
تقسمها نصفين وقال :
-دائماً سنيوريتا .. دائماً..
وبكل حيوية استحضرتها قوته الواهنة

ابتعد عنها .. صعد الدرجات الى غرفته
متجاهلاً صرير أذنيه والغشاوة التي أحاطت
بعقله وتكاد تغيبه ..
أغلق الباب دون سواه واستند عليه بضعف ..
يداه ترتجفان وخطواته المهزوزة تقوده الى
فراشه بصعوبة .. أخرج من جارور الى جوار
السرير علبة امتلأت بالأدوية .. ارتعشت
أصابعه وهو يفتش بينها عما يساعده
امتلأت نفسه بالمرارة والحقد ..
شرب الدواء يتجرعه مع كابوسه اليومي ..
مرارته امتزجت بمرارة الذكريات ..
وأصبحت كالعلقم وأكثر سوءاً .. أصبحت
حقيقية .. بشعة تنادي بأن يحكم عقله
على حقده .. مايصبو اليه أكبر بكثير ..
مايخطط اليه وماصمم على فعله لن يثنيه
عنه أحد أبداً ..
أراح جسده المنهك على الفراش وحدق
بالسقف .. يحمدالله ان غرفته ليس بها
مرايا .. لايريد أن يرى الضعف الذي

يسكنه .. لايريد أن يرى شحوب وجهه .. ولاخبوت البريق في عينيه .. لايزال أمامه مشوار طويل كما اكتشف اليوم.. عليه أن يبني الكثير.. من الصفر..

***

وقفت أمام النافذة بصمت .. تدير لها ظهرها فالعاصفة لاتزال مستمرة .. وهي لاتعشق العواصف رغم مزاجها السوداوي الذي يلائمها على الدوام .. تنظر لطرف الغرفة التي شغله الطفل بكتبه وألعابه .. وعينيها تسبحان في ملكوت اخر بعيد عنه كل البعد ..

ليعيدها صوت الباب يُفتح الى الواقع ..

التفتت ووجدته خلف الباب الموارب بابتسامته الثقيلة .. وحضوره غير المرغوب فيه أبداً ..

ابتسم لها فلم تبادله بغير النظرات الباردة المستحقرة التي عرفت بأنها تليق به ..

-مرحباً بالسنيوريتا المجدة ..

قالها بتفكه فاشتدت نظرة البرود في عينيها لكاد الجليد أن يتساقط منهما .. بل فعل بكلماتها الحادة وهي تهاجمه بلاتردد:

-مالذي تفعله هنا سنيور؟؟!!

زادت ابتسامته .. فهو هكذا كلما اشتدت ضراوة الفريسة ازداد حماسه وشغفه لإيقاعها في شراكه المنصوبة دوماً .. دخل وأغلق الباب ليستند عليه ورشقها بنظراته من أخمص قدميها المحاطتي بحذاء أبيض ناصع مروراً بالثوب الرمادي الطويل .. حتى خصرها النحيل المشدود بقوة بحزام عريض الى ثنايا صدرها المخفي خلف القماش الجامد الى عنقها المرمري الأبيض الطويل .. متمهلاً بشهوانية على شفتيها المكتنزتين حتى عينيها البنيتين اللتان تقطران برودة وسماً ..

وتبادل واياها النظرات المتحدية وهو يهمس:

-أتعرف اليكي .. ألن نكون جيـراناً ؟!
عقدت حاجبيها وتخبط الذعر في طيات
صدرها ولم تكشفه عينيها المدربتين جيداً
على اخفاء مشاعرها وهمست:
-ليس بيننا أي شيء لكي تهدف الى معرفتي
أكثر.. ونحن بالمناسبة لسنا جيـران..
ضحك برفق واقترب منها لتتراجع:
-بالعكس ياصغيرة .. نحن أقرب من جيران
الم تعرفي أن غرفتي تجاور غرفة الدرس ؟؟!!
كما أنه بإمكاننا أن نجعل مابيننا الكثير
والكثيـر..
رأت اقترابه .. فتراجعت أكثر وهتفت بحزم
ينافي ارتجاف ذاتها بقوة:
-غادر الأن سنيور .. فكما أخبرتك .. ليس
بيننا شيء نتناقشه أو نتعرف به على بعض.
تأوه بسخرية وألقى نظرة مترقبة لبيرتو قبل
ان يعاود نظرته لها بخبث وهو يهمس:
-أنا لا أحاول فعل شيء غير التعرف اليكي
أكثر يافتاتي الصغيرة..
-لست فتاتك ابداً ولست صغيرة ..
قالتها بحزم بقوة .. وكأنها تفرض ماتريد
عليه بكل قسوة ..
نظر لعينيها القاسيتين الجامدتين بحيرة :
-كيف لفتاة بمثل هذا الجمال والرقة أن
تحوي عينيها كل هذا البرود ؟؟!!
شعت عينيها بتصميم وهتفت ببرود أشد:
-ليس من شأنك سنيور .. والأن غادر
الغرفة في الحال..
لم يتحرك من مكانه بل بقي ينظر لها
بفضول .. أشعرها بالانزعاج .. ارتجفت
أصابعها وهي تقاوم رغبة ملحة في ان تخفي
وجهها عن عينيه المتفحصة .. تريد أن
تخفي عُريها من أمامه تشعر بأنها مكشوفة
لاتحب هذه النظرات .. لاتحب اقتراب احد
منها بهذا القدر .. فإن اقترب .. سيعـرف!!
اتسعت عينيها بذعر وتملكها الرعب وهي
تحاول السيطرة على أنفاسها ..

أشاحت عنه لتلقي برعبها وذعرها للعاصفة التي اقتربت .. تصاعدت أنفاسها وتحشرج صوتها وهي تغمغم:
-غادر الآن سنيور..
انعقد حاجبي اليساندرو بدهشة وقلق وهو يرى كتفيها تهتزان بعمق أنفاسها المتوترة فاقترب منها يسألها بقلق حقيقي:
-هل أنت بخير سنيوريتا؟؟!!
تقدمت نحو النافذة حتى كادت تلتصق بزجاجها وهي تقول بذعر:
-ابتعد عني ..
ضاقت عيناه .. :
-مابك سيليا؟؟!!
التفتت اليه وصاحت بذعر:
-قلت ابتعد عني ..
رأى الذعر في عينيها .. حقيقي .. بكل تفاصيله .. وجهها الناعم اجتاحه سواد وبشرتها الناعمة تغضنت بشحوب لم يسبق أن رأى له مثيل ..
تراجع بقلق .. وهو يوقن في أعماقه بانها تخفي شيئاً كبيراً للغاية .. ماضٍ مد أذرعـه عبر نظرات عينيها المذعورة الخائفة .. ماضٍ تخفيه .. وتخاف منه .. ماضٍ لاتقدر وحدها على مواجهته فألقته بعيداً علها تنجو منه !!
ابتعد عنها .. عن الذعر في عينيها والخوف في ارتجافة شفتيها ..
ابتعد حتى وصل الى باب الغرفة وقبل أن يخرج همس:
-سنناقش الأمر حين تهدأي قليلاً ..
رافقته نظراتها الجزعة حتى انغلق الباب..
بأنفاس متواثبة متسارعة .. لاتقوى على السيطرة عليها بأي حال .. لتشعر بانهيار مشاعرها حال انغلاقه خلفه .. قلبها لايتوقف عن الخفقان وهي تستعيد ذكرى لم تهاجمها في صحوها منذ زمن .. ذكرى التجأت دوماً الى منامها وباتت كابوساً يومي

اعتنق فراشها واحتكم وسادة لياليها ..
حتى باتت تخشى نومها وساعاته القليلة ..
والان هاهو يهاجمها في صحوها ..!!
اقتراب ذاك الرجل فاجأها وهي التي
ابتعدت عن جنس الوحوش ذاك منذ
سنوات .. اقترابه الفج وعينيه اللتان تقطران
خبثاً فجر في ذاتها معاقل الخوف .. فانتشرت
أذرعه تحوط جليدها الذي اعتنقته منذ
استعادت بضع نفسها ..فظهر جلياً في عينيها
وخلجاتها ..
ضمت جسدها المرتجف بذراعيها وجلست
كالأعمى تتلمس أرضها .. عينيها تغشاهما
الذكرى الجارحة كالسكين .. وذاتها
تغرق في لجة من احاسيس مرعبة .. تحوطها
كرائحة عفنة لاتكاد تسيطر عليها قط ..
حاولت الشهق للهواء .. فنساده اجتاح صدرها
.. ورائحة الدخان .. والجلد المحترق تزكم
أنفها .. وتعيث في داخلها غثيان تتذكره
وكأنه اليوم ..
تريد أن تحرر نفسها .. وعقلها من كل
ذكرياتها .. من كل هوس بالدخان ..
دخان .. لم يعلق في ذكرياتها سوى بقايا
النار من رماد ودخان !!
-انستي ..
... أنستيييييي ..
انتفضت بذعر ونظرت اليه ...
عينين رماديتين .. تنظران لها بقلق .. قلق
امتزج بالحدة ..
أخذت نفساً عميقاً .. وانسحبت عنها
الذكريات كشبح بارد من خيال سقيم
امتصه واقع ملموس بلون مشرق .. ودفئ
غريب ..
-هل أنت بخير؟؟!!
بالكاد سيطرت على ارتجافة جسدها
المنتفض.. وأومأت له بصمت .. نظر الصغير
للباب المغلق وهمس:
-هل قال لك العم أليساندرو مايغضبك؟؟

اتسعت عينيها وهزت رأسها نافية وهي تبحث عن كلمات ترد بها على تساؤلاته البريئة فلم تجد .. وكأنما انحبست الكلمات في طيات صدرها واندلعت ألسنة نار في طيات دماغها المثقل .. همست للصغير بجفاء لم تقصده:

-هل أنهيت واجبك؟؟

اومأ لها بصمت فعادت تكرر هامسة:

-جيد .. لنبدأ واجباً جديداً اذاً..

زوى بيرتو بين حاجبيه وتاملها بضيق غير راضٍ ومضى الى واجباته من غير نقاش .. في حين حاولت سيليا التماسك وتقدمت لتجلس الى جواره بصمت .. صمت مثقل بالذكريات مثقل بالألم ..

تراه طيف منن وراء ستار كثيف مليئ بالحزن ..

***

انبعثت الموسيقى هادئة بإحدى المقطوعات الكلاسيكية وانبعث الدفئ عبر مدفأة كهربائية موضوعة في الزاوية وعلى المكتب الماهجوني الأنيق تربع مارسيللو يسند عنقه على ظهر المقعد الجلدي الفاخر .. عيناه مغلقتان يحاول قدر الامكان عدم التفكير بأي شيء سوى تهدئة مزاجه العكر بعد نوبة الصباح .. كان طبيبه قلقاً .. وهو كذلك .. ولكن لا أحد يجيد اخفاء قلقه والدوس عليه مثله ..

سمع الطرقات على الباب ففتح عينيه بانزعاج ليرى من تطاول على خلوته فوجده هو...

-هل تسمح لي بالدخول يا ابن أخي؟؟!!

نظر له ببرود جليدي اكتسح عينيه وأشار له بالدخول ففعل وجلس أمامه .. وطال الصمت وكلاهما ينظر للأخر بحذر قبل أن يقطع مارسيللو الصمت وهو يتسائل بضجر:

-ماذا هناك عماه؟؟

-المربية الجديدة ..
قالها اليساندرو بلاتردد وخبث يرقص في عينيه ..
انقبضت كفا مارسيللو بقوة .. وارتجفت أعماقه وهو يمعن النظر في عمه الذي واصل باهتمام:
-انها تخفي شيئاً ..
زوى مارسيللو بين حاجبيه وعمه يواصل:
-انها ليست راهبة ولكنها تتصرف بتشدد أكثر من الراهبات أنفسهن ؟؟!!
-مالذي يزعجك بتشددها؟؟
قالها ببرود فتراجع أليساندرو ليستند على مقعده وهمس:
-أنت لاتريد لولدك أن يتربى برفقة راهبة؟؟!!
-لاشأن لك بما أريده لولدي..
انفجر مارسيلو بحنق فاشتعل غضب أليساندرو في عينيه وهتف :
-الولد لايحتاج لتشدد ..
-هل ستعلمني مايحتاج اليه ولدي ؟؟!! ماذا عن ولدك أنت؟؟
قالها مارسيلو بسخرية ألجمت أليساندرو ليحتقن وجهه وهو يواصل:
-أنت لاتهتم به بل لاتكاد تعرف عنه شيئاً .. هل تحاول ادعاء الاهتمام ببيرتو؟؟ منذ متى عماه؟؟!!
-أنا لا أدعـي..
دافع أليساندرو عن نفسه بسرعة فشخر مارسيللو بسخرية ونهض عن مقعده يواجه النافذة المطلة على المرج الذي اكتسته الظلال بعد تلبد السماء بالغيوم وأتاه صوت عمه متسائلاً:
-من أين أتيت بالفتاة على كل حال ؟؟!! فهي ليست من النوع الاجتماعي ولا البسيط انها معقدة وبائسة؟؟
اسودت عيناه والتفت لعمه وهتف بغضب:
-اترك الفتاة بحالها عماه .. لاتقترب منها

وإياك ..
ثم اقترب منه وهمس بصوت مهدد خطير:
-إياك أن تؤذيها او تمارس تفاهاتك عليها أتفهم ؟؟!!
نظر له أليساندرو باستخفاف .. قبل أن ينهض مبتعداً عنه وهو يدمدم:
-فلتذهب الى الجحيم حتى لاتهمني .. هي مجرد فتاة معقدة .. ونتائج مجيئها الى هنا لن تكون سارة ..
-لاتهتم بهذا ..
زجره مارسيللو بقوة اثارت في نفس أليساندرو الحقد فرشقه بنظرة متعالية قبل أن يتخذ طريقه للخروج بحنق ..
أخذ مارسيللو نفساً عميقاً .. وتهالك على مقعده ..
كيف له ألا يحسب حساب أليساندرو بكل ماخطط له !!
أليساندرو الذي لايترك طريدة الا وهجم عليها .. !! سيليا ضعيفة .. أنثى هشة بلاحول ولاقوة !!
وأليساندرو متوحش بلارحمة ..
ويكفي سيليا ماعانته من الوحوش!!
أغمض عينيه بألم ..
يكفيها بحق !!
***
رتبت الكراسات التناثرة بعد مغادرة بيرتو .. رتبت الغرفة وتمطت بتعب ..
راقبت الجو المعتم وابتسمت .. تحب الجو الغائم وليت المطر يهطل ..
فتحت النافذة على مصراعيها وقررت النزول للحديقة حتى تتنشق الهواء النقي ..
......
في الحديقة بدأت قطرات المطر ..
رفعت وجهها لاستقبال الرذاذ البارد وابتسمت بانتعاش .. لاشيء يثير في نفسها الرغبة بالحياة كقطرات المطر !!
انتعشت الأرض وانتشرت رائحة العشب

المبلول تثير في نفسها انتعاش خفي ..
فاتسعت ابتسامتها وتلفتت حولها كي تتيقن
أن المكان خالٍ من العيون الفضولية قبل أن
تتجه للمرج الخلفي وتنزع حذائها ....
أثار ملمس العشب الندي لقدميها شعور رائع
متخم بالترف لنفسها المنهكة .. كان
المكان خالياً بصورة تامة .. تقدمت عبر
الطريق المفروش بالحصى الملساء منتعشة
بملمسها البارد اقدميها الحافيتين ولايزال
رذاذ المطر تساقط على وجهها ويهدد بابتلال
ثيابها ..
ولكنها لم تأبه ..
أخذت نفساً عميقاً ورفعت عينيها للسماء ..
هذه السماء الغائمة .. ورذاذ المطر .. عشقها
.. فقد كانت ونيس وحدتها لليالٍ طويلة !!
كرهتها في البداية .. وكانت تخافها ..
ولكنها مع الوقت عرفت أنها سلوتها في
خلوتها ..

ومنجى لشكوتها والمها ..
حينها سمعت الصوت ..
كات قد ابتعدت عن المنزل بعض الشيء ..
فالتفتت حولها بقلق ... كان صوت حصى
تتحرك بفعل خطوات تبعثرها .. بحثت عن
مصدر الخطوات .. وانتابتها المخاوف ..
ارتجفت وهي تتراجع ..
وتتراجع حتى التصق ظهرها بشجرة ما ..
وعينيها تتسعان برعب ..
فأمامها تجسدت صورة من صور كوابيسها
..
أمامها في صحوها .. بكل وقاحة .. وكل
ألم ..
حصان !!
حصان مهول ..
اكتسى لونه بالظلال .. عليه فارس ما
بظلال كئيبة .. وصهيل مهول يخترق
الاسماع .. يحطم الأذان ..
يحرقها بذكرى من نار ..



وفارس شوهته لسعاتها .. وانتفضت أضلاعها تطلق صرخة مهولة وهي ترى السماء تبرق بضوء قوي أعمى بصرها للحظات قبل أن يدوي الرعد محطماً الباقي من مقاومتها ممتزجاً بصوت حاد قوي سقط على جذع الشجرة التي تستند عليها كسوط لاهب لتتسع عينيها بهول وهي ترى الفارس المرعب يقفز نحوها ..

صرخت برعب عارم ..

وسقطت فاقدة الوعي ..

بلاحـراك ..

تصاعد الدخان من وراء الجبال دوماً يشير لوجود النار..
واستعار تلك بين الأشجار دائماً مايودي لاندلاع الحرائق..
واشتعالها بين جنبات المنازل غالباً ماتؤدي للكوارث ..
فالنار دائماً ..
تلتهم .. تحرق .. تدمر..
النار لاتبقي ولاتذر..
الا بقايا رماد متطاير..
كمشاعر متأرجحة على حافة جرف
تهاجمها ريح لاترحم
تقذفها يمنة ويسار
ولاتتركها الا في القاع..
مهشمة .. محطمة ..
كبقايا أرواح هائمة ..
***



الفصل الثاني
مشاعر .. غريبة

استيقظ .. غريب أن المكان حوله هادئ ..
خالٍ ..
بعثر خصلات شعره السوداء ونهض بتثاقل ..
ارتدى قميصه وتوجه للمطبخ حيث يعتقد
أنها لابد تكون هناك؟؟ وفعلاً وجدها ..
راقب تحركاتها الراقصة في المطبخ وهي
تتحرك بحيوية ونشاط من مكان لاخر..
تعد الخبز المحمص والبيض واللحم .. فطوره
المفضل.. اقترب يحيط وسطها بذراعيه
بمرح وهو يقول برومانسية:
-صباح الخير يافراشتي الراقصة..
التفتت له ضاحكة والفرح كله في عينيها
الزرقاوين:
-صباح الخير حبيبي لماذا استيقظت ..
داعب أنفها بأنفه الحاد كالسيف هامساً:
-افتقدتك الى جواري ياحبيبتي .. اين ابني
البكر..!!
أحاطت عنقه بدلال:

-نائم .. أرضعته للتو وهو الأن نائم بعمق.
ممتاااز..
قالها بخبث فقهقهت ضاحكة وهي تغرق
بين ذراعيه .. في غرامهما المتقد ..
....
ارتدت السماء حلة العاصفة القوية ورددت
أصداءها صرخات الرعد القوية .. وبدت
كأنها ستنهار من فرط قوته واهتزازه ..
غابت عيناه في ماوراء السحب الكثيفة
والتمع البرق بقوة انعكست على الغرفة
المظلمة لتضيئها بصورة مخيفة لم تهز منه
شعرة ..
سمع الطرقات الهادئة على الباب مجدداً
كانت هي من أخرجته من كابوس
ذكرياته وقسوتها..
التفت يناظر الباب الذي فتحه رجل طويل
دخل بهدوء:
-كيف حالها الأن؟؟
سأل ببرود لايعكس قلقه :

-ستكون بخير .. كانت صدمة عصبية .. ولكنها شابة وقوية وستتجاوزها.. ماذا عنك أنت؟؟
أجاب الطبيب ليتبع ماقاله بسؤاله .. فأشاح مارسيلو بوجهه وهمس بخشونة:
-ومابي أنا؟؟
-لماذا جئت بها الى هنا؟؟
نظر له بصدمة فهز الطبيب نظارته الزجاجية بتوتر وهمس:
-أظننت أنني لن أتعرف عليها؟؟
أعاد نظره للعاصفة وشعر باقتراب الطبيب الذي همس بحرقة:
-ارحمها مارسيلو ..
أغمض عينيه بقوة والكلمة ذاتها تتردد بداخله بقوة .. ارحمها!!
أرحمها!!
ومن يرحمني أنا!!
فكر باستنكار ساخر مرير .. والتفت لصديقه يهمس:
-مافعلت كل هذا الا رحمة بها ياخيمين..
ضحك خيمين بسخرية:
-كل هذا رحمة؟؟!! ومتى تنوي تنفيذ العقاب؟؟
سرح مارسيلو بأفكاره وتردد بداخله صوت قوي .. يكفي معاقبتي لنفسي .. يكفي عقاب أحدنا ..
-مارسيلو .. الفتاة بحاجة للراحة انها متعبة وقد ترتكب حماقة في نفسها ؟؟
نظر له ببرود وهمس:
-مالذي ستفعله؟؟ تقتل نفسها؟؟!!
قالها بمرارة فنظر له صديقه قبل أن يجيبه بجمود:
-أو تقتلك أنت..
عم الصمت بينهما للحظات وكلا الرجلين يناظران بعضهما قبل أن يشيح خيمين ويهمس:
-سأغادر .. تركت لها بعض الحبوب ..

واطمئن حتى لو شربتها كلها في وقت واحد
فالجرعة لن تكون قاتلة.
زم مارسيلو شفتيه وراقبه بصمت ..
كل شيء يعود ليسقط على رأسه ..
كل شيء..
***
أشبــاح ..
ريح قوية تتدافع بالابواب .. أضواء خافتة
ومشاعل ملتهبة .. ممرات غريبة .. صخرية
وكأنها داخل كهف ركضت بكل قوتها ..
بكل بقايا ضعفها الذي يهاجمها بلارحمة ..
ركضت بعنف وبسرعة .. حاولت الفرار..
حتى واجهت كابوسها ..
قناع أبيض يخفي سواد بلون الحريق .. وسوط
جلدي بقبة ذهبية يلتمع في اليدين
المغلفتين بالجلد الأسود ..
" الى أيــن تذهبين "
أغمضت عينيها بذعر وحاولت الفرار..

ولكن قدميها تسمرتها بفعل الصوت
المبحوح ..
بفعل الرعب والقسوة التي تشع من العينين
..
تسمرت ولم تقوى على الحراك ..
وضاقت الانفاس والكابوس يقترب ..
ويقترب ..
...
وفتحت عينيها فجأة .. لاهثة .. يتصببها
العرق وتتسارع أنفاسها .. تشعر بقلبها يكاد
يثب من بين ضلوعها .. تدير عينيها
فيماحولها ..تغشاهما ضباب خفيف .. وهي
تتعرف على الغرفة .. حاولت النهوض
ولكنها شعرت بجسدها كله يؤلمها
فعاودت الرقود وعينيها تتعلقان بالسقف،
هل كان حلمـاً؟؟
ابتلعت ريقها الجاف ورفعت يديها تحيط
عنقها بحرص .. تشعر بقوة الأصابع المغلفة
بالجلد الأسود والتي أحاطت بعنقها النحيل

وبدات تضغط وببطء.. أغمضت عينيها
وانسابت دموعها بألم ..
حاولت أن تتماسك ولكن..
شهقاتها تعالت وباتت تتذكر ماحدث بلوعة
..
وكأنما تعود اللحظات الأليمة بقوة
وبلاحساب ..
كانت تقف بجوار الشجرة الضخمة حين
ظهر لها ذاك الفارس الذي أخفى وجهه ..
وساعدته العاصفة .. صهل الحصان بقوة ورفع
قوائمه بفعل صرختها القوية التي أطلقتها
وهي تشاهد بعينين متسعتين سوطه الأسود
يلمع بضوء البرق .. وكانت العينان
القاتمتين هما أخر مارأت قبل أن تغيب في
سواد ..
حين فتحت عينيها كان الجو هادئاً ..
بارد .. هادئ .. جامد ..
تلفتت حولها .. ثيابها مبللة بفعل الأمطار

ولكن .. لم تكن في الغابة .؟ كانت فيما
يشبه الكوخ .. كوخ صغير قذر!! نهضت
بتوتر من الأرض ورأت الظلال تنتشر في
الكوخ المهجور .. تغطي الملائات
مفروشاته القديمة وتعسكر العناكب
حول زوايا جدرانه المتهالكة ..اقتربت من
النافذة الوحيدة التي رأتها .. كانت مطلية
بطلاء ذو لون أسود من الخارج .. هدفه
الوحيد حجب كل مايدور بالخارج .. عن
الداخل!!
ابتلعت ريقها متوترة .. وبدأت تتلمس الجدار
بحثاً عن باب .. عن مخرج .. ودموعها تنساب
بدون صوت .. عبراتها تشق وجنتيها بحرارة
.. وهي تحرك يديها باستماتة في الضوء
الشحيح القادم من فرجات الخشب في
السقف المائل .. حتى وصلت لقبضة الباب
..
شهقت بالدموع .. وبدأت تحرك المقبض
بقوة .. بقدر مايسمح به ضعفها ..

كان الباب قوياً .. عكس كل شيء في هذا الكوخ التعيس !! صرخت بقهر .. وبدأت تضرب الخشب الثقيل بقبضتيها وقد يئست من المقبض.. مرة واثنتان ..

تسارعت ضرباتها وهي تركل الباب بكل قوتها وتصرخ:

-افتحوووووووووووا الباااااااااااااب .. دعوووووونيييييي أخرج من هنااااااااااااااااااا ..

ساعدوني ارجوووووووووووووووووووكم ..ساعدونيييييييييييييييييي ..

لم يجبها أحد .. رددت صرخاتها بقوة .. حتى بدأ صوتها يبح .. وينخفض وازدادت شهقاتها ازدادت بقوة وهي تتهالك على الأرض تدق قبضتيها على الباب المغلق بإحكام بضعف ..

ليتها تموت .. ليتها تموت وتتخلص من هذا الوضع المزري ..

شهقت بعنف وأخفت وجهها بين يديها .. تكره ضعفها .. تكره ضعفها الذي أجبرها على مواجهة هذا الموقف مرتين .. في المرة الأولى خرجت منه مهزومة الروح .. محطمة الجسد .. والآن !! مالذي سيحدث لها؟؟ ليتها تموت .. ليتها تمووت ..

انتحبت بمرارة واستلقت على الارض القاسية .. وتذكرت بلاحول ولاقوة أرضاً مماثلة استلقت عليها بذات الوضعية قبل سنوات .. كانت زنزانة ..

قبو .. مظلم به نافذة وحيدة مغلقة بأسياخ حديدة تتسلل عبرها أشعة القمر الفضي الجميل وتساقطت على وجنتيها المبللتين بالدموع .. تفكر .. مالذي فعلته لتنتهي هكذا .. في عهدة شيطان !!

لاتزال ترتدي ثوب عرسها .. الثوب الأبيض الذي دنسه ذاك الشيطان ..

اغمضت عينيها وعادت لتفتحهما برعب وهي تسمع الاصوات التي تقترب من بعيد ..

خطوات ثقيلة وكأنها تزن لأطنان !!
تراجعت زاحفة لركن قصي .. وامتلأت ملامح وجهها بالرعب والخوف .. وهي تغطي فمها بكفيها حتى لايصدر منها صوت .. وخصلات شعرها المتجعدة تنزل الى خصرها وهي تناظر الباب الحديدي الذي فتح بقوة مصدراً صوتاً قوياً وصرير .. جمد الدم في عروقها ..
أنسدل ظله بهيبة وخلفه مشاعل النار تضفي على وجهه ظلال لم تره .. اقترب منها بخطوات كأنها للشيطان نفسه .. وتعلقت عينيها رغماً عنها بوجهه الذي غطاه القناع .. لم تقدر على انزال عينيها .. لم تقدر.. راقبها بصمت .. قبل أن ينحني على كعبيه ليواجه نظراتها البائسة .. المرتعبة ببرود .. جمود .. وكانما يناظرها بلاحياة .. نظرة رجل فقد كل شيء ولم يعد يهمه شيئ .. !!
شعرت به يلامس خصلات شعرها المجدولة بيده المغطاة بالجلد .. فأغمضت عينيها رغماً عنها وانسابت دموعها .. شعرت به يقترب .. حتى لفحت أنفاسه خدها ..
وبصوته المبحوح ..
-انتظرتك طويلاً ..
شهقت برعب رغماً عنها وتراجعت للوراء .. ولكن قبضته على شعرها ازدادت قوة وقساوة .. فصرخت متألمة وهو يرتفع على ساقيه ويجذبها لتقف معه !!
كانت بالكاد تصل لمستوى كتفيه وشعرها المتكوم في قبضته وهو يجرها معه للخارج .. حاولت الصراخ الاعتراض .. حاولت البكاء .. ولكن .. حتى دموعها تجمدت رعباً منه ..
أخذها الى غرفة واسعة .. مظلمة كئيبة ، جدرانها سوداء كالرجل الواقف وسطها نوافذها رمادية وهوائها بارد خانق لاينيرها سوى مشعل واحد تتراقص ظلاله كما في العصور الوسطى.. نظرت اليه،، أي شيطان ..

يقترب منها .. القناع يُخفي وجهه ولا يُخفي نظرة عينيه الشرسة كحيوان مفترس كشيطان خاطئ.. تراجعت مذعورة سقطت على الأرض الجليدية ووقف يُشرف عليها من علو .. همس بوحشية:

-ستدفعين الثمن يا ابنة الجالياني..

هتفت بصوت مبحوح بالدموع :

-لااااااااااااااااااااااااااا

صرخت كحمل مذبوح .. وترددت ضحكاته .. وهو يحملها كالذبائح بين يديه..

ماتت صرخاتها .. وغابت وسط دموع رعبها .. وسط انهيار احلامها .. وسط قسوته .. وسط جنونه ..

غابت الصرخات .. وتركها جثة هامدة .. تبكي بلاصوت .. وهو يعدها ببحته المخيفة:

-لن تعيشي لتري النور ابداً يا ابنة الجاليني .. ابدااااا..

وقد صدق ..

هي لم ترى النور بعد تلك الليلة ..

دمية يتلاعب بها .. هذا ماحدث .. مجرد دميـة انتقام .. صنعها بيديه !!

....

....

استيقظت على وقع ضربات خفيفة .. هربت لأقصى مكان وتشبثت عينيها بالباب الضخم .. عينيها متسعتان بقوة وكل ذرة فيها ترتجف؟؟ سمعت الأصوات الكثيرة .. والباب يُفتح ليظهر هو من وراءه !!

نظرت له بذهول .. بسواده الذي اعتادت عليه ..

نظر لها بصدمة .. وتعلقت عينيها بعينيه وهو يقترب ..

انحنى على كعبيه .. وامتدت ذراعه تلامس "بحنان" خصلات شعرها وسمعته يهمس:

-هل أنت بخيـر؟؟!!

كانت عينيها متسعتين برعب .. سمعته

يصرخ بمن خلفه:
-انها مصابة بصدمة .. لننقلها للمنزل ..
ودون اعتراض منها كان يحملها بيديه
بلامشقة تذكر.. ورأسها الهائم على
كتفيها يستند على صدره .. باستسلام ..
مثير للشفقة !!
أغمضت عينيها .. واستسلمت للنوم ..
..
تذكرت كل هذا وهي تشهق ناظرة للسقف
العالي .. سمعت صوتاً الى جوارها التفتت
لتجده هناك .. يقف في الظلام.. هل كان
هنا كل الوقت؟؟!! فكرت بجزع ..
اقترب منها فضمت غطائها اليها وهمس هو
بتثاقل:
-حمدالله على سلامتك..
لم تجب فزفر بضيق وسأل:
-مالذي كنتي تفعلينه في كوخ الصيد؟؟
سيليا:
-..................
مارسيلو بضجر:
-اسمعيني ان المكان هناك ليس خطراً
بقدر ماهو منعزل .. لولا اخبار كوينزا لنا
باختفائك عن طاولة الغداء لما اهتم أحد
بالبحث عنك ولكنتي بقيتي هناك حتى
الصباح.. فلاتفعلينها مرة أخرى..
قالها واستدار يريد الانصراف ..ولكنه سمع
صوتها المبحوح يهمس بضعف:
-كان .. كان هناك احد..
تصلب ولم ينظر لها فأضافت باكية :
-كان هناك أحد .. وقد أغلق علي في
الكوخ.
زم عينيه بقوة وهمس بخشونة:
-ليس هناك غيرنا في المزرعة .. وباب
الكوخ لم يكن مغلقاً ولكنه ثقيل للغاية
ولم تكوني لتقدري على فتحه وحدك
يافتاة..
خفضت عينيها بألم وانسابت دموعها

وتركها .. خرج من الغرفة بسرعة وكأنما الشياطين تلاحقه .. ولم يلحظ العينين اللتان تراقبانه باهتمام .. وبصمت ..

***

زفرت فاليريا بضيق وجلست الى جوار ابنها وهي تهمس:
-تلك الفتاة ستقتلني .. رفضت تناول أي شيئ ..وتقول بأنها ليست جائعة ..
لم يرد .. بل استمر بقراءة الصحيفة بين يديه ببرود فهتفت:
-مارسيلو بني .. قد تموت الفتاة دون أن نقدر على فعل شيء..
ارتسمت على شفتيه سخرية خفيفة وهمس:
-لاتقلقي أماه.. انها قطة بسبعة أرواح ولن يصيبها مكروه .. ستأكل اذا شعرت بالجوع.
-ولكنها لم تأكل الا الفتات منذ ثلاثة أيام .. وهي منعزلة وكتومة .. واعتقد ان ماحدث لها أثر عليها بقوة ..
قالت أمه بذكاء فزفر ونهض وهو يرد بخشونة:
-مالذي تريدين مني فعله؟؟ اطعامها بيدي..!!
-لابني لم أقصد ..
قالتها ضاحكة وأضافت:
-حدثها .. ربما تستمع اليك ..
أشاح عنها وابتعد الى الملحق الخارجي .. كانت هناك .. تجلس متأملة مشتل الورود حيث اختفت كل الورد بسبب الشتاء الوليد .. نظر لها بإمعان.. ثم عقد حاجبيه وهو يراه يقترب منها !!

......

ستنمو الأزهار هنا في الربيع!!
فكرت بجمود .. كما كل أرض ميتة سيحيها الربيع .. ولكن .. ليس أنا .. فموتي نهائي ..
تنهدت بصبر كان الوقت قد حان لدروس بيرتو .. شعرت بساقيها مخدرتان وقبل أن

تنهض بالقوة رأته يقترب..
امتلأت عينيها بالحذر وهي تلاحظ اقترابه .. كان طويل القامة بحق .. وله كتفين عريضين .. وشعره الاسود تكلل فوديه خصلات بيضاء ناعمة .. ملامح وجهه لاتشي بان لديه ولد مراهق.. عينيه تخفيان خبثاً .. لم تقدر على الفرار منه .. همس لها بخشونة:
-كيف حالك؟؟
أحاطت كتفيها بذراعيها ولم تجب .. سوى بايماءة خفيفة من رأسها فمط شفتيه وهو ينظر لها بحذر:
-اسمعي ياسيليا .. ذاك اليوم لم أقصد أبداً ماحدث.. لم أقصد التهجم عليك بذلك الشكل.
نظرت له ببرود وتجاهلت ماقاله .. نهضت وأشاحت عنه وهي تهمس:
-لايهـم..
تابعها بعينيه بدهشة .. قبل أن يجتاحه الحنق لتجاهلها له بذلك الشكل .. فأسرع نحوها يمسك ذراعها بقوة وهو يصرخ:
-لاتتجاهليني حينما أكلمك..
شهقت متراجعة بذعر وهي تنظر لوجهه الحاد الغاضب وأنفاسه المتلاحقه .. وهو ينظر لوجهها البريئ الخائف مصعوقاً .. لكل تلك المشاعر التي هاجمته بلارحمة للمسة ذراعها ولنظرتها ..
-لم .. لم أقصد ..
تلعثم وعيناه الحادتين ترتبكان ليضيف وهو يرى هدوء عينيها لاعتذاره:
-ربما يجب علينا الحديث في مكان أفضل من هذا..
-لا ...
اعترضت مباشرة وهي تتراجع خطوة للخلف وعينيها في عينيه لتلمع عيناه بقوة وهو يسألها بعنف:
-لما تخافين مني؟؟
-لست خائفة.

همست مذعورة .. عينيها لاتستطيع الهروب من عينيه .. تريد وبشـدة ولكن لاتستطيع ..
تقدم منها وهمس باصرار:
-اذاً تعالي معي لنتحدث..
شعت عينيها بالكره وتصاعد تقززها من لمسته بسرعة فجذبت ذراعها منه بقوة وصرخت:
-لاتلمسـني..
نظر لها بدهشة لثورتها .. اشتعلت النيران بالعينين الواسعتين وبات من الصعب أن يشيح ببصره عنها .. جذبته عيناها بقوة وكأنما دخل الى مغارة مظلمة في جوف جبل عميق .. شعر بذاته تذوب .. وامتلأت روحه بغصة لم يعرف سببها .. لم يقدر سوى أن يتراجع الى الخلف وبعينيه نظرة دهشة ..
ضمت ذراعها اليها وكأنها مكسورة .. وتراجعت عنه.. وتسارعت خطواتها وهي تمضي الى البعيد .. تعود الى المنزل الذي انتصب بشموخ أمامها .. لتجد الأخر بانتظارها ..
تصلبت تنظر اليه .. والى عينيه الرماديتان .. امتقع وجهها وبات يرتجف قلبها بدقات لم تعرف لها مثيل .. هو أنقذهـا !!
تقدم منها وببحة صوته المميزة همس:
-هل أنت بخير؟؟
نظرت له .. وجدت نفسها تتفرس في ملامح وجهه .. في حضوره .. لاتعرف... تشعر بتناقض .. غريب احسساسها بوجوده .. تشعر كقط حاصرها أسد مثير للرعب ..وتشعر بنفسها كطفل صغير.. آآمـن!!
اومأت برأسها بخضوع .. فابتسم بشحوب رغماً عنه ..
لاتليق بها الوداعـة .. لاتليق بها قط..
-لما لانتناول طعام الفطور معاً..
نظرت له بذهول ورأته يبتسم باتساع:
-بيرتو سيأكل معنا ..

نظرت له بحدة .. ورغماً عنها انطلقت كل أجراس الانذار في عقلها .. التفتت للخلف ورأت ذاك المدعو أليساندرو ينظر لهما بسخرية .. وشعرت بذعر يجتاحها .. عادت لتلتفت لمارسيلو قبل أن تهمس:
-لا أشعر بالجوع ..
وبسرعة جرت راكضة بعيداً عنهما .. راقبها للحظات قبل أن ينظر لعمه الذي انفجر ضاحكاً .. وعيناه تبرقان بغضب عاصف عاكس ضحكته..
-لاتمارس ألاعيبك القذرة في منزلي مجدداً عماه.. والا لن أكون مسؤلاً عما سأفعله.
رفع أليساندرو حاجبه وسأل بمكر:
-هل ستطردني؟؟
شبك مارسيلو حاجبيه وقال بثقل:
-افعل مابوسعك كي لاتجبرني على اتخاذ مثل هذا القرار..
قهقه عمه مجدداً وقال بخبث:
-مابالك يا ابن أخي .. هل دق قلبك مجدداً؟؟
اسود وجه مارسيللو .. أصبح يماثل الجرانيت قسوة .. تقدم ليمسك بزمام عمه بقوة وهو يصرخ:
-لاتدفعني لطردك الأن عماه .. ولاتنسى من يكون مارسيللو أبداً..
قبض عمه على معصميه بقوة واقترب منه بتهور وهو يهتف بعنف:
-أتهدف للشجار ؟؟ هل حنيت للأيام القديمة ؟؟!!
شحب وجه مارسيللو ولكنه لم يتراجع وشدد من قبضتيه متجاهلاً الدوار الذي عصف به وهو يقول بصوت مكتوم:
-لاتجبرني على فعل شيء تندم عليه لاحقاً..
ثم نفضه بقوة عنه مستديراً يبحث عن طريق الى ملجأ يعفيه من الصداع والدوار اللذين فتكا برأسه وهو يسمع اليساندرو

يهتف من خلفه بحنق:
-لاتقدر على فعل شيء مارسيللو .. لاتحاول فلن تقدر.
تجاهله وهو يعود للمنزل بخطوات سريعة محاولاً الحفاظ على توازنه .. كان الغثيان يعصف به .. وصل الى غرفته أخيراً .. اتجه الى الحمام .. ليفرغ كل مافي جوفه .. تهالك على الأرض .. صدره يؤلمه .. بطنه تؤلمه ورأسه .. آآه من ذاك الصداع الذي يكاد يحطمه ..
النهاية تقترب .. فكر بمرارة ..
***
كان المساء عاصفاً كالعادة... أغلقت سيليا النوافذ وجلست تقرأ في كتاب التدريس الخاص بالصغير تحضيراً للغد حين سمعت الطرقات الخافتة على الباب... لم ترد ظناً بأن مهما كان سيكون مخطئاً .. فمنذ أيام لم يطرق باب غرفتها أحد .. ولكن عادت الطرقات مجدداً .. بشكل حازم .. نهضت بتثاقل وأسندت جسدها كله على الباب وألصقت أذنها وهي تسمع ..
تكررت الطرقات بصورة أقوى .. فأغمضت عينيها وهمست بتردد:
-من هنـاك؟؟
رفع مارسيـللو حاجبيه بدهشة .. وهو يستمع للصوت الخافت المرتعش .. اقترب من الباب وقال بخفوت:
-انه أنـا .. افتحي الباب سنيوريتا..
عقدت حاجبيها وقلبها يخفق بجنـون.. ماذا يريد منها؟؟ ترددت أصابعها على المزلاج الذي أغلقته بإحكام .. ثم أخذت نفساً وهي تسمعه يعيد بإصرار:
-افتحـي الباب..
ابتلعت ريقها وفتحت ..
من فرجة ضيقة تأملته .. كان يقف بسواده المعتاد .. وقد خفض رأسه الداكن .. قبل أن يرفعه ببطئ متأملاً إياها بصمت ..

يرى شحوبها والذعر المزروع خلف عينيها
البندقيتين .. ذعر جعله يغص بانفاسه
ويعض شفتيه .. ياله من رعب وخوف زرعه
فيك الشيطان ..
غصة استحكمت صدره وقبضتيه خلف
ظهره تتقبضان بقوة .. ياله من خوف
وانكسار زرعه بين طيات صدرك وفي
نظراتك ..
-هل تسمحين لي بالدخول؟؟
ترددت للحظات قبل أن تبتعد وتسمح له ..
أخذ نفساً عميقاً .. ودخل الى غرفتها ..
راقبها كيف فتحت الباب على مصراعيه ..
ووقفت الى جواره تتمسك بظلفته وكأنها
تمنع نفسها من الهرب بصعوبة .. يرى
ارتجافة أصابعها المتوترة .. وارتجاف شفتيها
الواضح.. تعرف تناقض مشاعرها برفقته ..
تعرف احساسها الغريب حين تراه .. احساس
بالنفور يرافقه احساس يماثله قوة وحضوراً
بالأماآآن !!
أي أنثى متناقضة هي ؟؟!!
نظر لها بتوتر .. ثوبها الطويل الذي غطى
كاحليها وكتفيها الضامرتين .. شعرها
المعقود خلف عنقها بقوة .. عينيها
الحائرتين بنظرات تائهة للسقف والشرفة ..
وكأنما تبحث عن الخلاص بالهرب أو
الطيران !!
-منذ أيام وأنت تحبسين نفسك هنا؟؟ لما
لاتأتين لتناول العشاء معنا هذه الليلة ..
ضمت ذراعيها اليها وتراجعت وعينيها
ترتجفان .. هامسة:
-لا أشعر بالجوع..
نظر لها بصمت .. كم تبدو هزيلة ..
لاتوجد أي ملامح راحة في الوجه الذي ذبل
.. لاتوجد سوى الهالات السوداء تحت
العينين الواسعتين .. شحوب نافس شحوب
الموتى وشفتين جافتين مشققتين .. عنق
هزيلة وظهرت العروق الخضراء واضحة تحت

الجلد الشفاف ..
كان ينظر الى جثة ..
أنت لم تتناولى الفطور... والغداء تناولت
بعض حساء خضار... الى متى تنوين تجويع
نفسك ياسنيوريتا؟؟
ابتلعت ريقها من نبرته الصارمة .. وأشاحت
بوجهها عنه .. بخوف رغماً عنها تخاف
اصراره واقترابه المصمم اليها ..
تنهد مارسيللو .. ستثير جنونه هذه الصغيرة
بتباعدها .. همس لها بارهاق ؛
-سوف تأتين معي .. الأن لتناول العشاء ولن
أقبل أية أعذار.. هيا ..
-قلت لك بأني لااريد.
أصرت بشجاعة .. فرفع عينين حازمتين اليها
وصرخ؛
-أنا السيد هنا وكلمتي لانقاش فيها
سنيوريتا ..
-حين تأمرني بشيء يخص عملي وليس
حياتي الخاصة ..
ردت ببرود .. لحظات من الشجاعة العابرة
تتسلح فيها أمام جبروته ..
اقترب منها فتراجعت كطير مذعور وقد
غادرتها كل لمحات من الشجاعة إياها ..
حتى التصق ظهرها بالجدار خلفها .. ومضت
تنظر لعيينيه بصمت وهو يهمس بتثاقل؛
-سوف تاتين للعشاء معي رغماً عنك
سنيوريتا والا حملتك بنفسي.
نظرت لعينيه الرماديتين بجزع .. صامتة ..
قربه منها .. مألوف .. مألوف لحد الجنون ..
أنفاسه التي لفحت وجهها .. حرارتها وقوتها
كل شيء يقودها الى التفكير بمدى
ماتشعره من ألفة نحوه بطريقة لايمكن ان
تفسرها ولا تفهمها .ألفة وخوف غير مبرر
ابتلعت ريقها بتوتر وحاولت الابتعاد عن
تأثير عينيه المسيطرتين بقوة تنجو
بنفسها ان جاد لها التعبير واستطاعت
بصعوبة هامسة باستسلام؛

-حاضر سنيور سآتي.
ثم نظرت اليه وأضافت :
سأغير ثيابي اولا.
رفت عيناه بتوتره وتراجع لخارج غرفتها وهو يدمدم بأنه سينتظرها في غرفة الطعام ليتركها خافقة القلب بقوة حابسة لأنفاسها تتسع عينيها بقوة تتابعان حركة كتفيه العريضين وهو يغادرها بهدوءه العاصف المثير للقلق ... تعرف هذه الخطوات تعرفها ولكن !!! كيف!؟؟

****

العشاء كان مسلياً
فكر بسخرية كما هي التسلية التي تنتج من زيارة طبيب الاسنان... نعم لقد كان مسلياً اذا ماتفادينا نظرات بيا الحارقة المميتة اليه ،، ونظرات أليساندرو المتحجرة الغامضة وتجاهل ابنه للجميع وكانت هناك سيليا تجلس على بُعد من الجميع في قوقعة تضمها وحدها وتستثني الجميع لم تكن هناك سوى أمه التي تحاول أن تبعث بعض الحياة الى تلك المناسبة التعيسة كما فكر... كانت تتحدث بمرح عن آخر رحلة قامت بها العائلة خارج توسكاني وقد كانت للبندقية واسترسلت بكل ماحدث خلالها!!! متناسية ان الجميع تقريبا كانوا هناك ماعدا سيليا التي لم تكن مهتمة بشيء مماقالته
عاد ببصره لطبق الطعام الذي لم يمسه ورفعه الى طبقها هي الذي مست منه القليل كانت في الطرف الاخر من الطاولة وبعيدة عن متناول يده ووجد نفسه يهدر بصوت قوي:
-لما لم تأكلي؟؟
انتفضت ونظرت اليه في حين اتجهت كل النظرات اليه باندهاش :
-ألم تسمعينني ؟؟
رفت بعينيها بتوتر وهمست بصوت خرج منها

خشناً وجافاً:

-لست جائعة وقد قلت لك هذا.

توترت عيناه هو الأخر وهمس بحدة:

-كلي طعامك ..

التمعت الثورة بعينيها وتشبثت بالشوكة الحادة بين اصابعها:

-قلت بأني لست جائعة.

-لم أحضرك الى هنا كي تسقطي مريضة بعد ايام .. أنت هنا لتعملي فقط .. ولتعملي عليكي أن تأكلي ..أتفهمين..

صرخ بعنف جعلها تنتفض وتسقط مابيدها .. نظرت له برعب.. صوته .. اختلاف النبرة المبحوحة .. جعلها تشخص اليه بذهول ..

اتسعت عيناه لوهلة .. نظرتها الثورية اختفت لتظهر عينيها بصفاء عجيب امتزجت فيه صنوف العذاب .. شفتيها ارتجفتا رآها تنهض من كرسيها وبصوت مخنوق تهمس باعتذار قبل أن تركض بعيداً ..

تلقى النظرات الحادة من والدته وبيا الحقودة .. في حين رأى عمه يبتسم بسخرية .. رمى بفوطته على الطاولة ونهض يلحقها بسرعة ..

....

ركضت بسرعة .. تلحقها شياطينها .. قلبها ينتفض بقوة لاتعرف هو الخوف أم كل شيء أخر ..

انهمرت دموعها وبللت وجنتيها .. رفعت ثوبها الطويل بعد أن كادت تتعثر في السلالم ..

"سيليا"

هدر الصوت الصارم خلفها .. فتوقفت مرعوبة تلتفت اليه .. كان يقف أسفل السلم .. وهي في منتصفه ..

ولكنه قطع المسافة اليها بسرعة .. حتى بات يواجهها .. برعب تعلقت بعينيه وهو يهمس بخشونة:

-لماذا غادرتي هكذا؟؟

احتقن صوتها ولم تجب .. أشاحت عنه فرفع

يده وقبض على ذقنها العنيدة بين اصابعه
وأدارها لتواجه عينيه الحادتين وهمس:
-لاتشيحي عني حين أكلمك .. ألم تفهمي
بعد؟؟
-ماذا تريد مني؟؟
همست مخنوقة .. فتصلب للحظات قبل أن
يفلتها ويقول ببرود:
-وماذا تظنين؟؟
ابتلعت ريقها بصعوبة فأكمل :
-أريدك أن تعتني ببيرتو .. واضرابك عن
الطعام لن يفيده بشيء..
تشبثت بعينيه وهي تهمس:
-لاأحب أن أجبر على شيء...
ضربته عبارتها بقسوة تصلب وشحب وجهه
وهي تواصل بعبرات تخنق كلماتها:
-أرجوك .. لاتجبرني..
-لن أجبرك..
همس بضعف .. متراجعاً من طريقها لتلملم

الباقي من قوتها وتركض مواصلة طريقها
نحو ملاذها .. تابعها مرتجفاً .. وذكريات
بشعة تخترق مناعة قوته الصلبة لتهزه من
العمق .. ويرتجف ورغماً عنه يجلس على
طرف الدرجات المتسلقة .. يديه على رأسه
عيناه مغمضتان بشدة .. يريد ان يمحو
تلك الصور .. يريد أن يمحوها بلافائدة ..
لازالت تهاجمه .. شرسة .. قاسية ..
صرخات مبحوحة تفجرت في اذنيه ..
توسلات مكتومة لم تفجر فيه وقتها سوى
الشماتة .. جسد بارد كالجثث ..
فتح عينيه لاهثاً .. العرق يتصببه .. ضربات
قلبه متسارعة .. فك ياقة قميصه واندفع
يهرول للخارج .. للمساء البارد المرصع
بالنجوم .. يريد تنفس الهواء.. عله ينظفه
من الداخل .. علّه يمحو بعض القذارة من
ذاته التي تلطخت بها ..
.. لن أجبرك ؟؟!!
ضحك بمرارة .. رفس الحصى بقدمه بقوة

.. وعاد يضحك ..
كيف لا يضحك وهو يتذكر ماحدث قبل
سنوات كئيبة .. قاسية ..
" الرحمة ياالهي.. الرحمة "
هذر بها بلاتوقف وفيض من عنف ووحشية
تنساب اليه .. رأسه يكاد ينفجر يؤلمه
وبشدة هذا التفكير وتلك الذكريات
تنهكه للأخر!! رفع عينيه للسماء .. تمتم
بطلب للرحمة وعيناه تحرقانه بماتخبئانه
من دموع حبيسة ..
....
"لاتجبرني"..!!
شهقت باكية تدفن صرخاتها الموجوعة في
وسادتها لاتصدق ماقالته!! والذكرى المؤلمة
التي هاجمتها حال تفوهها بتلك الكلمة..
ذلك الصوت المشوه الغارق في الشر يأمرها
ان تستسلم..
حين توسلت ألا يُجبرها بكُل ضراعة توسلت
اليه ولم يستمع لها قط.
صرخت بألم للذكريات والوجع الجسدي
الذي هاجمها بقسوة.. مسدت كتفيها،
صدرها.. قبل ان تحيط عنقها بكفيها
وذكرى أصابع الشيطان الملفوفة بالجلد
الاسود تعيد لها ذكرى الاختناق ورائحته
الخانقة ..ابتلعت ريقاً متحجراً وشخصت
عينيها للسقف.. وكأنها تختنق ..
"إن لم تكوني طيعة .. فستموتين وأنت
تحاربينني بلا فائدة"..
اتسعت عينيها بذهول .. تغرق في الذكرى
الوحشية .. لماضٍ لم ولن تنجو منه مهما
هربت!!
أنفاس ملوثة برائحة شراب مقرفة .. لمسات
مقززة .. جلد بارد ناعم كالأفاعي ..ألم ..
لم تعد تقوى على المقاومة .. منهكة حتى
النخاع !!
تركته يعيث بجسدها البريئ كل أنواع
الفساد .. حاولت ألا تفكر بمايفعله بها من

اجرام .. حاولت أن تغمض عينيها هرباً من وجهه المغطى بقناع لم يُخفي قسوته ولا وحشية عينيه ..

....

"سينيوريتا"

بكت بصمت .. انسابت دموعها وهي تشعر بضغط الأصابع حول عنقها يزداد ..

"سينيوريتا"

...

"لا..أرجوووك..."

همسة مبحوحة غادرت شفتيها الممزقتين بفعل رغباته الحيوانيـة ..

"سينوريتااااا"

حركت رأسها بضعف .. يُمنى ويساراً .. تبحث عن هواء.. تكاد تمووت ..

"سيلياااااااااااااااا"

شهقت بعنف حينها ..

منتصبة على الفراش .. تلهث وكأنما راكضة من وادٍ عميق .. العرق يُغرقها .. الغرفة مضاءة ..مشعة وصوت جزع يصرخ بها:

-هل رأيت كابوساً؟؟؟

نظرت اليه بذهول .. يقف الى جوار سريرها ببيجامته الطفولية ونظرة مرتاعة على محياه الوسيم .. عيناه الرماديتان تشعان بالقلق.. والخوف..

متى جاء؟؟

فكرت بتشوش .. مالذي حدث لي؟؟

كنتي تصرخين وأنتي نائمة.. وأصبحتي بيضاء بشدة...

قال لها بصوت مرتجف.. كانت لاتزال ترزخ تحت تأثير الكابوس الذي هاجمها بعد استغراقها في النوم لاتصدق أنها نامت بملابسها بعد نوبة البكاء الهستيرية التي اجتاحتها ..

اقترب بيرتو منها وهمس:

-هل أنت بخير؟؟ سنيوريتا؟؟

كان جسدها كله يؤلمها .. حلقها جاف .. ترتجف من قمة رأسها لأخمص قدميها .. همست:

-كم الساعة؟؟

-لقد أشرقت الشمس..

قالها بخفوت وهو يقترب ليعتلي سريرها ويضع يده الصغيرة على كتفها مواسياً:

-حين أرى كابوساً أخاف أنا أيضاً..

نظرت له دامعة العينين فهمس باشفاق:

-بابا يواسيني ويشتري لي البوظة في كل مرة..

لم تتمالك نفسها من الابتسام لبرائته فتحت ذراعيها لاستقباله فاقترب مبتسماً وهو يقول:

-أنت ناعمة للغاية..

ضحكت مرغمة .. قبل أن تهمس له:

-شكراً لأنك أتيت لإيقاظي بيرتو.

-بابا طلب مني..

تصلبت قبل أن تبعده عنها وهي تسأل بشرود:

-هو طلب منك؟؟

-قال بأنك كنت مستاءة ليلة أمس؟؟

خفضت عينيها.. مالذي يريده منها ذاك الرجل ؟؟ فكرت بتوتر.. هل يمكن أنه قد شعر بماتمر به من أذى ؟؟ مستحيل أن يعرف.. كيف له؟؟

ابتلعت ريقها ونهضت تلملم ثوبها هامسة للصغير:

-اذهب لترتدي ثيابك .. وسنذهب بعد الفطور للمرج في الوادي..

شعّت عيناه بسعادة وأسرع راكضاً ليفعل ماطلبت منه .. في حين تمهلت هي في تغيير ثيابها والاستحمام ..وأمام مرآة الحمام وقفت مطولاً..

شعرها البندقي الداكن ينساب متموجاً حتى خصرها..وعينيها الواسعتين تلمعان وسط وجهها الشاحب عنقها الطويل يحمل

أثر أصابعها النحيلة ..ابتلعت ريقها وهي تنزل بعينيها لبطنها المسطح ..ضغطت عليه برفق بظهر كفها .. وأغمضت عينيها بألم .. لايزال الوجع بالداخل .. فكرت بمرارة .. انتفضت بقوة حين فاجأتها طرقات على الباب وتصاعد صوت الصغير:

-سنيوريتا هيا لقد تأخرنا..

مسحت عينيها بسرعة تمحو أثر الدموع والتفت بمنشفة ضخمة وهي تهمس مخنوقة:

-آتية بيرتو .. آتية في الحال..

***

حين تطغى أخطاء الماضي على حاضرحياتك فانه لامستقبل لك ..

هاجمته تلك العبارة التي لطالما رددها هو في ماضيه لكل من وكلائه .. هاجمته بعنف حتى كادت تقتله.. وهو يراقب أخطاءه متجسدة أمام عينيه .. هل يُعقل أن تسمى هذه بخطأ؟؟ فكر بحنق.. انها ليست خطئاً ..

بل هي خطئ مرووع .. ضاقت عيناه وهو يتأملها من على بُعد .. كانت تجلس مع ابنه وسط مرج ممرغ بالأعشاب تظللها أشجار بدأت باستعادة أوراقها بعد الشتاء..

أخذ نفساً عميقاً .. وخرج من السيارة يتقدم نحوهما ببطئ..

.....

الجو كان رائعاً .. لايزال يحتفظ ببعض برودة الشتاء وان امتزج الهواء بروائح من الربيع الوليد .. رفع وجهها تتلقى أحد أشعة الشمس الدافئة .. بابتسامة .. سرعان ماماتت وهي تراه يقف هناك .. تحت احدى شجرات البلوط الضخمة عارية الأوراق .. بظله الأسود .. ابتلعت ريقها وهي تراه يقترب ..

وقف حت أشرف عليهما ورفع ماكان يحمله بيده قائلاً بهدوء:

-نسيتما هذا..

تعلقت عينيها بعينيه متجاهلة سلة النزهات التي حملها.. كانت تغرق في الدفئ العارم المطل من بين جفنيه.. بحنان غريب لم تألفه من قبل من أي أحد منذ مدة طويلة .. انتفضت بعدها بسبب قفزة بيدرة نحو أبيه يحمل عنه السلة المحملة بالمأكولات والشراب كماعرفت فيما بعد .. همست تشكره .. فاتسعت ابتسامته وجلس الى جوارهما وهو يظهر بوضوح نيته عدم المغادرة :

-ربما تشكرينني أفضل بصب كأسٍ من الشراب.

أشاحت عنه بصعوبة وهي تخفي ذهولها العارم مافعلته الابتسامة بوجهه ومما فعلته بخفقات قلبها التي لم تشعرها تضرب جنباتها بمثل هذه القوة منذ زمن؟؟

كانت النزهة التعليمية التي قررت أخذ الصغير اليها في الصباح للتعرف على أنواع الأعشاب والحشرات المختلفة تتحول الى شيء أخر تماماً .. فبينما هي جلست على بساط النزهات تراقب الأب وابنه يلعبان كرة القدم أمامها بكل حماس وضحكاتهما الصاخبة تملأ الفضاء حولها.. كان هناك شيء صغير .. صغير للغاية في احدى زوايا صدرها يثب بحماس معهما .. يراقبهما بولع .. بشغف.. بجوع !!

سيبتسم بمرح مع ضحكهما الصاخب ويرتجف بقلق ان سقط أحدهما وظنت لوهلة أنه قد تأذى لتعاد الابتسام بحيرة وهي تراه يثب وكأنه لم يكن؟؟

راقبتهما لوقت ظنته ساعت طويلة قبل أن تراه يترك طفله يلاعب الكرة وحده وهو يتجه اليها بخطوات ثقيلة .. ليسقط حرفياً الى جوارها وابتسامته تشق حلقه العريض والعرق يداعب جبينه وأنفاسه المتسارعة وهو يقول ضاحكاً:

-لقد كبرت على مجارات ذلك الصغير..

والتفت لها هامساً:
-هل تستمتعين بوقتك؟؟
تسمرت عينيها عليه .. تلك الرجولة المتدفقة من عينيه وأنفاسه .. وهو يحوطها بتواجده المُشبع.. هزت رأسها باسمة فتحجرت عيناه ..
للمرة الأولى يرى ابتسامتها .. أشاح بذهول .. انها تبتسم حقاً!!
لأول مرة يراها تفغر ذاك الفاه الجميل .. وتبتسم..!!
لايزال في ذهوله من هول ابتسامتها ومافعلت به .. راقبها بتشوش تنهض لتحادث ابنه .. غامت عيناه وهو يراه يتشبث بها يمسك بمعصميها ويدور حولها بسرعة .. وسمع حينها ضحكتها .. تيبست أطرافه .. تضحك!!
أليس للمفاجئآت اليوم من نهاية .. تارة تبتسم فتقلب كيانه وتارة تضحك ..

فتعصف بكل مشاعره؟؟
حين انتصف النهار قرروا العودة للقصر.. جمعا كل حوائج النزهة ووضعاها في صندوق السيارة وانطلقا في طريق العودة للقصر..
ومضت الأيام .. على ذلك المنوال .. وبالنسبة اليها تغيرت اشياء كثيرة عصفت بداخلها وجعلتها تبحث عن شيء اخر سوى الجمود الذي سيطر على كل ماكانت تفعله منذ فترة طويلة ..اصبحت تهوى تلك الساعات التي تقضيها مع ذلك الصغير... وتعشق تلك التي تقضيها في مراقبته هو ووالده !!
لاتصدق كم التغيير الهائل الذي حصل له معها اصبح حنوناً مراعياً يختلف عن ذلك الرجل الاسود الذي قابلته في المرة الاولى.
احاسيس عارمة لاتفهمها ولاتعرف كيف تفسرها هي فقط لاترغب سوى بالنفاذ الى داخلها وتحليل تلك المشاعر الغريبة التي

تهاجمها وتثير الاضطراب في داخلها!!
تلك الليلة توسدت فراشها وأسندت رأسها الى مرفقها وهي تحاول التفكير بتعقل لأول مرة في حياتها وتحاول تحليل ماتشعر به ببطئ...استلقت على فراشها تنظر للسقف بهدوء وعينين زائغتان حالمتان.. ترى لماذا يعاملها بتلك الطريقة لماذا يحاول ان يجرها الى حياتهم بكل ذلك الاصرار!!!
فهو يُصر على تناولها كل وجبات الطعام مع عائلته وترافقه في جولاته مع ابنه في الصباح الباكر على ظهر الخيل وهي تراقبهم عن قرب... ولايتردد في المشاركة معهما في الجلوس وتبادل الحديث الظريف الهادئ في غرفة الدرس لساعات طويلة وحتى الخروج في النزهة والى سوق المدينة لشراء الكتب والألعاب.
تنهدت بتوتر ونهضت تدور في غرفتها بملل الساعة قاربت منتصف الليل ولديها الكثير لتقوم به في الصباح الباكر بداية بالدروس مع بيرتو وانتهائاً بالخروج مع بيرتو ووالده .. والده!!!
جلست أمام مرآتها وعقدت حاجبيها وهي تنظر لملامح وجهها الفتي الذابل .. والده !!
فكرت بأسى كيف لها أن تفكر بالسنيور مارسيللو بتلك الطريقة!! وأي طريقة ...
فكرت بألم وهي تسند رأسها الى كفيها وتستند الى طاولة زينتها !!!
صداع يهزها بقوة ويثير بداخلها الكثير والكثير احساس لم تشعر به منذ سنوات اخترقها وأحرق بداخلها بفعل شيطان!
وهاهو يعود ليهاجمها بقوة الان رفعت رأسها للمرآة التي حوت عينيها الواسعتين بنظرة مشتتة خصلات رقيقة من شعرها الداكن تتدلى على جبينها وجانبي عنقها الابيض الطويل ... منذ متى يجتاحها هذا الاحساس ؟؟ منذ متى يهاجمها هذا الشعور القوي؟؟
كيف استطاع التسلل الى داخلها بتلك

السهولة ولم يقدر غيره على فعل هذا !! بل هي لم تسمح لغيره ان يفعل .. فكرت بمرارة !! لقد اعتزلت الكل والعالم كله بعد ماحدث لها.

"ربي ساعدني أرجوك"

همست بتشتت وهي تنهض بتوتر لتعاود دورانها حول غرفتها تحاول اعادة ترتيب افكارها الغارقة في دوامة عميقة .. حين سمعت تلك الطرقات!!!

.....

نظر الى عقارب الساعة التي قاربت منتصف الليل .. لايقدر على البقاء محبوساً هنا عليه المواصلة في الضغط عليها !! عليه ان يستمر في محاولاته وألا يستسلم مطلقاً. تنهد بقوة ومرغ أصابعه في طيات شعره الغزير وهو يفكر.. لايجب عليه ان يتركها لايجب ان يترك لها الفرصة لتعود لقوقعتها مجدداً ويخسر ماعمل جاهداً ليبنيه خلال كل تلك الايام الماضية !!!

ابتلع ريقه غاصاً به قبل أن يحسم أمره ويتوجه خارج غرفته السوداء مثله ..توقف أمام الباب المؤدي لغرفتها متردداً قبضتيه متكورتين الى جواره وعينيه تشعان بتصميم قبل أن يرفع قبضته ويطرق الباب بقوة عدة مرات ثم يتراجع صامتاً .. للحظات ظن أنها لم تسمع .. وكادت يده ترتفع ليعاود الطرقات حين فكر.. ربما كانت نائمة؟؟ ربما لن تفتح الباب مطلقاً وتصارعته رغبة أن يعود لغرفته وينسى الأمر.. وكاد يفعل وهو ينزل يده لجواره قبل أن يتسمر والباب يصدر صوت صرير خافت وهو يُفتح ببطء.. لتطل من خلفه عينيها !!!

تسمر ينظر لبراثنتهما المهولة وهما تلتهمان وجهه دون خجل في دهشة واستغراب .. وفوق ذلك .. اهتمام وفرح يطل بحياء بين رموشها!!

-هل يمكنني الدخول؟؟
قالها بصوت لايمت له بصلة.. وأتبعها بسرعة وهو يرى حمرة خجلها تغطيها:
-أريد التحدث معك بأمر..
ترددت للحظة قبل أن تفسح له الطريق .. وتغلق الباب خلفه وتستند له متعلقة عينيها به بانتظار ماسيقول .. وفي تلك الأثناء تأملته خفية ..
كان لايزال بالأسود وان كان تخلى عن رسميته وارتدى كنزة خفيفة بعنق طويلة تغطي رقبته .. وحولها تدلت بضع من خصلات شعره .. وتلكلكت عينيها للوصول الى عينيه لتكتشف بخجل اجتاحها أنه ينظر لها متفرساً هو الأخر..
الفتاة الراهبة .. سخر من العبارة وهو يتأملها بثوب نومها الطويل الذي يغطي كاحليها وذراعيها .. فعلاً تبدو كراهبات العصور الوسطى ماعدا تلك اللمعة في عينيها ..
خفق قلبه للحظة بشعور لم يتبينه وهو يشيح بعينيه مرغماً:
-هناك شيء أردت أن أناقشه معك.
ماذا هناك؟؟
همست بصوت شاحب ويدها على قلبها تهدئ من خفقاته المدوية..
-انه عن بيرتو..
قالها بتوتر فعقدت حاجبيها ولم ترد في حين واصل هو باضطراب يجاهد كي يرسم حروفه باتقان.. حتى لاتقع في الشك ولو للحظة فيما يقول..
-تعرفين أنه قد تعلق بك بصورة كبيرة في الفترة الماضية..
لم ترد أيضاً .. فواصل :
-انه لايكاد ينهض من نومه حتى يسرع اليكي..
-أنا أحبه ومتعلقة به كذلك..
قالت بصوت مخنوق.. مالذي يعنيه؟؟ هل يُفكر بطردها؟؟ أهذا مايؤرقه .. !!



خنقها احساسها العارم بالألم .. لمجرد الفكرة أنها قد ترحل عن هنا.. عن بيرتو .. وعن .....

-أعرف هذا..

قاطعها بصوت هادئ يُخفي أسراره بداخله .. فهزت رأسها متعجبة وهو يواصل:

-لذا اتخذت قراري .. وأريدك ان تفكري به ملياً قبل أن تجاوبي..

نظر اليها وهو يقترب .. حتى تعلقت عيناه الرماديتان بعينيها .. بصرار.. رغم شحوبه .. وارتجاف جانب فمه همس بهدوء:

-أريدك ان تكوني أماً لبيرتو سنيوريتا..

اتسعت عينيها بذهول .. للحظات طويلة لم تجب .. ظلت تنظر له بذهول .. ولم يتركها .. بل سارع ليضيف:

-أريد الزواج بك .. لتكوني أماً لطفلي ..

......

....



الفصل الثالث
زواج ؟!!

تتقاذف بيننا صور الماضي المروع وتبتلعنا فلا نقدر على النجاة من براثن الذكريات المؤلمة وحين تفلتنا لاتتركنا سليمي العقل والبدن فالجسد تملئه الندوب والعقل لايزال مشوش مجنون.
قد نظن بأننا نجونا او اننا لانزال نحتفظ ببعض الامل للنجاة ولكن .. هيهات لايزال بحر شاطئ الامان بعيد كالأمنيات المستحيلة ولانزال نتخبط في بحر عميق من الاحزان !!!!
استفقنا يوما على ظلال شمس وارفة واشجار ربيعية تحمل روائح الياسمين وتركتنا الهموم لمساء مفعم بالأمل وروح هائمة في الحب والنقاء تركنا بعض من ظنوننا ورميناها بعيداً. عنا نحو البعيد كي ننعم بعض مالنا من نشوة وانفراج ومشاعر صاخبة.
تتأمل ثوبها الساتاني الأبيض وطرحتها الحريرية على كتفيها وابتسامتها المشرقة

وعلى رأسها طوق من الياسمين المتألق وعلى
جيدها طوق آخر من اللؤلؤ ابتسمت باشراق
ونظرت للرجل الكبير الذي وقف امامها
ينظر لها بحنان:
-هل اعجبتك ابي؟؟
-انتِ بغاية الجمال بنيتي.
اتسعت ابتسامتها ومضت تدورحول نفسها
ضاحكة بفرح شق قلبها الصغير لنصفين
وهو يشاركها الضحكات ويلامس خدها
الناعم برقة والد فخور قبل ان يتركها
ويمضي لتجهيزات السيارة ،، اندفعت هي الى
الشرفة لترى عريسها المنتظر وتبسمت
بحنان لرؤياه بفخامته المعتادة يقف الى
جوار والدها قبل ان ينطلق الى المعبد هو
الاخر لتبقى هي ومربيتها التي ساعدتها على
النزول الى الحديقة حيث استمرت بالدوران
حول نفسها امام والدها الفخور الضاحك
بمرح قبل ان تستقل السيارة مع مربيتها

العجوز تتأمل السماء الغائمة وتنادي لنانا
انهما تتأخران وتطمئنها تلك بحنان.. حتى
وصلتا الى النار المستعرة!!
اتسعت عينيها ببرائة وجاهدت للفرار
ولكن ... لاسبيل للفكاك منه لاسبيل
للهرب والنجاة .... التقطها بقوة كما يلتقط
مارد زهرة ياسمين يانعة لتذبل بين يديه !!
همست تتوسله :
-ارجوك .. اتوسل اليك دعني.
نظر لها بقسوة من عينيه القاتمتان بقوة
الكره ولم يجبها ضاعت توسلاتها
وصرخاتها ولم تسمع قط ...
تلك كانت ليلة زفافها ...
الليلة الحلم وقد تبخرت منها كل انواع
السعادة فلم تعد تحمل سوى الكوابيس في
حلكة الليل ...
أيطلب الان منها تكرار المآساة ؟؟؟؟
مستحيل!!
نظرت له بجمود وعرضه يصفعها المرة تلو

الاخرى لاتصدق مايقوله لاتصدق انه يعرض عليها الزواج!!!!
قبضت على مقدمة ثوبها بقوة وكأنما تحمي نفسها من عينيه الثاقبتين تراجعت للخلف وهمست بشحوب:
- ماذا تعني؟؟؟
-ماسمعتيه سيليا انا اريد الزواج بك.
-مستحيل.
هتفت بسرعة لينظر لها بعمق يعرف اعذارها كلها ولكنه ليس مستعداً للاستسلام بعد.
تنهد واقترب منها بحذر لتتراجع فيقف :
- لاتستعجلي بقرارك وفكري ملياً بالامر.
هزت رأسها رافضة مجرد التفكير واشاحت عن عينيه الثاقبة بألم فأصر:
- حاولي التفكير ياسيليا ماعرضه عليك ليس عرضاً رومانسياً ولست ابتغي منه اي شيء سوى العناية بولدي بيرتو.
-انا مربيته ولست اكثر.
- اريدك ان تصبحي اكثر.
قال بقوة جعلتها تنتفض ليواصل باصرار:
- بيرتو لم يتفق مع اي من مربياته السابقات الا معك انت.
- هذا لايعني ان تتزوجني سأبقى مربيته وسأعتني به.
- ليس كافياً.
صرخ بمرارة فنظرت له فزعة ليقترب قائلاً بلهفة:
- انتي تعنين الكثير لأبني وانا لن أجد من هي افضل منك لتأخذ مكان امه.
غص بكلماته حينها واحنى رأسه لتهتف بمرارة:
- انا لست كما تظن.
رفع لها عينيه فأضافت بألم :
- لست كما تظن ابداً.
- مهما كنت فلن تكوني اسوأ مني سيليا.
غمغم بوجع لتفقد السيطرة على دموعها وتنساب مبللة وجنتيها بألم :

- انت لاتعرف عني اي شيء سنيور ..
ارجوك لاتجبرني على فعل شيء نندم عليه كلينا فيما بعد.

نظر لرأسها المطأطئ ارضاً وحاول جهده ان يبتعد يعرف بأن صدمة العرض كافية ليوم واحد وعليه الابتعاد الان ولكنه لايقدر... شيء بداخله يتحكم بأطرافه ويجبره على التقدم اليها والجلوس الى جوارها رغم جفولها منه وابتعادها الا انه لايقوى على تركها تذهب يقبض بقوة على معصميها ... يكتشف بأنها باردة كالثلج ولا يوقفه هذا على العكس.. قبض عليها بحنو وادناها منه أراد أن يقضي على برودها بين ذراعيه .. وليته لم يفعل..

انتفضت واقفة تصرخ بفزع .. تناظره بعيني متسعتين كحمل وديع .. في حضرة ذئب جائع.. لم يرغب بشيء.. فكر بألم .. يشهد الله أنه لم يرغب بشيئ..

نهض خلفها :
-لاتخافي مني سيليا فلن أؤذيك أبداً ..
-فقط دعني وشأني أتوسل اليك..

غمغمت بحزن .. قلبها يخفق بجنون ولاتعرف السبب وراء انهيار مشاعرها الصلبة أمامه .. بالذات هو !!

تنهد وأشاح عنها يتجه الى باب الغرفة .. دمدم لها حال وصوله للباب:
-فكري سيليا.. فكري ملياً بماعرضته عليك.. وسأتمها في أخذ الجواب.

أرادت الصراخ بالرفض مجدداً .. أرادت الهرب.. أرادت .. وأرادت .. ولكنها لم تفعل سوى الوقوف تنظر خلفه بتيبس.. حتى اختفى وأغلق الباب.. لتجلس على الأرض بذهول تضم اليها جسدها المرتجف.. وهي لاتفكر بشيء.. عقلها مغلق.. بقوة .. تخاف أن تفكر.. لتتذكر.. تخاف أن تغلق عينيها لتحلم بتلك الليالي.. بتلك الكوابيس.. تخاف .. وتخاف.. ولسانها لايكف عن

ترديد .. " لست كما تظن؟؟!! "

***

في الصباح التالي..
كانت عينيها منتفختين .. وجهها شاحب
كثر الاسوداد تحت عينيها.. لم تنم
لدقيقة واحدة .. أصبح النوم يرعبها ..
غادرت غرفتها بذبول.. تريد اللحاق ببيرتو
قبل أن يخرج .. لتفاجأها الوجوه الواجمة ..
الجميع كان في البهو .. ماعداه .. تلفتت
حولها لترى والدته قلقة .. اقتربت منها وقد
انتقل القلق اليها وتسرب جلدها كالمرض:
-سنيورا فاليريا ماذا هناك؟؟
رفعت لها فاليريا عينين متسعتين وهمست :
-انه مارسيللو..
قبضة جليدية تلك التي اعتصرت قلبها ..
ابتلعت ريقها المتيبس.. ورغماً عنها شحب
صوتها وهي تسأل:
-ماذا حدث للسنيور؟؟

تدخل صوت قاسٍ ساخر من خلفها:
-السنيور أجهد نفسه بشدة ليلة أمس..
ويبدو أن الاجهاد المضاعف لايناسبه..
التفتت لأليساندرو بحدة .. لتقابلها
السخرية الوقحة في العينين ..
اقترب منها ليهمس بصوت لم يسمعه سواها:
-ربما لم يكن يجدر به زيارتك البارحة ..
سينيوريتا.. وخصوصاً .. في الظلام ..
رفعت له عينين مصعوقتين لترى ابتسامته
الحقودة الماكرة .. هل رآه حين جاء
اليها؟؟!! لابد أنه يلمح ل... شعرت بغيظها
يشتعل.. حريق اجتاح جسدها وهي تشيح
عنه لتقابلها عينا بيا .. الحقودة الغاضبة ..
لابد أنه أخبرها أيضاً.. لم تعرف لما شعرت
بالغيظ والحنق بدل أن تشعر بالخجل .. لم
تعرف لما رفعت رأسها بحدة وجلست الى
جوار السنيورا لتنتظر الطبيب الذي يعاين
مريضهم .. ولكنها فعلت..
وهناك خلف باب غرفته السوداء المغلقة

.. كان طبيبه يغلق حقيبته بوجه متجهم :
-الى متى تنوي اهمال نفسك؟؟
لم يرد.. كانت عيناه معلقتان بقمم جبال توسكاني البعيدة.. وكأنما لايرغب سوى بالتحليق اليها..
-مارسيللو أنا أكلمك..
صرخ طبيبه ليجيبه ببرود:
-وأنا لاأريد الكلام.. اتركني لأرتاح واستعيد قوتي ياصديقي.
لن تستعيدها طالما تنوي اهمال أدويتك وراحتك..
تنهد مارسيللو بضيق ونظر لصديقه:
-مالأمر الأن ..
-انه ضغطك المرتفع.. أرجوك مارسيللو .. أرجوك اعتني بنفسك..
اومأ له .. فتنهد الأخر وغادر مسرعاً ..
وجد الجميع بانتظاره اقترب منهم وهو يراقبها من بعيد .. متوجساً.. المرة الماضية
كانت فاقدة الوعي.. ولكن الأن؟؟
أشاح عنها ونظر للسنيورا .. طمأنها بعدة كلمات سريعة .. وأصر على عدم ازعاجه في الوقت الحاضر قبل أن يهرول للخارج ..
-مابالة خيمين وكأنه رأى شبحاً؟؟
تساءلت بيا بحدة .. لتقول فاليريا بوجوم:
-لابد أنه مستعجل.. ليذهب كل واحد منكم الى عمله .. لقد اطمئننا على مارسيللو..
-ألن نراه؟؟
صرخت بيا حانقة فزفر اليساندرو :
-ألم تسمعي الطبيب يقول بأنه بحاجة للراحة .. قلت لك .. لقد بذل مجهوداً خارقاً البارحة..
قالها وهو يغمز بعينه لسيليا بخبث وقح جعلها تنتفض بذعر وتسرع راكضة بعيداً ليقهقه بقوة وبيا تلكزه بغيظ ...
***
حين انتصف النهار كانت تتابع دروس

بيرتو حين شعرت بالباب خلفها يُفتح ..
التفتت بسرعة لتجده يقف هناك..
تسارعت دقات قلبها بقوة .. حتى ماعادت
تحتمل .. ركض الفتى ليتعلق بوالده في
حين نهضت هي متعثرة بثوبها لتقف أمامه ..
رفع بيرتو بين ذراعيه واستقام ينظر اليها ..
كانت تقف كطفلة ضُبطت تلهو بماليس
لها .. مذنبة.. والبراءة تشع من عينيها !!
تناقض لاتجده سوى في الأبرياء حقاً ..
تنهد واقترب منها رأت في عينيه تعب
لايُخفى على أحد .. ابتسم لها فبدت
ابتسامته متكلفة ومرهقة .. تباطأت دقات
قلبها بطريقة لم تعرفها قبلاً ..
-كيف حالك؟
تسائل بخفوت فلم تجبه.. احتقنت الاجابات
في حلقها ولم تجرؤ على النطق بكلمة ..
تشبثت عينيها بنظرته وكأنما تريد
الاجابة منه هو .. حملت عيناه حيرته وعاد
يسأل:
-هل أنت بخير سيليا؟؟!
-هل أنت بخير؟؟!!
رمته بالسؤال بخشونة .. وكأنما تستغربه
أن يسأل عنها والطبيب كان عنده هو..
تبسم باجهاد.. جلس على طرف كرسي
ووضع طفله على ركبتيه وهمس:
-سأكون بخير إن أجبت طلبي..
تراجعت منكمشة على نفسها.. أشاحت
بوجهها عنه وسمعته يصرف بيرتو .. بقيا
وحدهما ..
لما لاتجيبينني سيليا.. لماذا تريدين
تعذيبي هكذا ؟
-أنا.. انا..
تلعثمت ليهب من مكانه ويحاصرها .. لم
يعد يفصل بينهما شيء.. سوى أنفاسها
القريبة تجاور اذنها .. هي متصلبة متشنجة
.. وهو يقول بحدة خافتة :
-لاتخافي مني ياسيليا.. لن أؤذيك .. لن

أمسك بسوء.. ماأريده فقط هو أم لأبني..
أريد امرأة تعتني به.. تخاف عليه وتحبه..
لاأريد امرأة لي أنا..
رفعت عينين جاحظتين اليه .. فأصر بقوة؛
-لاأريدك زوجة لي سيليا .. أريدك أماً
لبيرتو ولاشيء أخر.. صدقيني..
-لماذا أنا؟؟؟!!
تسائلت بشحوب.. بصوت بالكاد غادرها ..
رأت ارتجاف عينيه .. دليل ارتباك.. ولكن
نظرته لم تخف حدتها، بل اشتدت وهو
يهمس؛
-لأنه يحبك أنت .. ويريدك أنت.
ثم تراجع عنها ليعاود جلوسه .. يُخفي به
بعض دوار اشتد عليه .. لاوقت لديه
للترهات.. رفع عينيه اليها؛
-عليك أن توافقي.. سأمتثل لكل
شروطك.. لن أسبب لك أي أذى.. زواجنا
سيكون مجرد حبر على ورق.. أنا لاأبحث عن
امرأة تشاركني فراشي سيليا ..
صرخ بيأس فنظرت له مصدومة ليكمل؛
-زواجنا لن يكتمل ابداً ..اتفهمين.. لن
المسك قط ..
نظرت والصدمة لاتزال بعينيها وهو يكمل؛
-لن أتعرض لك .. ابداً.
-لاأستطيع ..
همست برعب..
فهب بقوة؛
-كيف لا؟؟؟!!
انتفضت بقوة .. في حين مسد رأسه بيديه
.. ونهض يتجه الى الباب وهو يشعر
بالاختناق..
-فكري سيليا .. فكري بهدوء.. أرجوك.
أخيراً التقطت بضعة أنفاس.. حالما
غادرها.. جلست على المقعد ويديها تضمهما
الى جيبها بقوة .. ترتجف من قوة تأثيره
عليها ولاتعرف السبب.. رأسها يؤلمها ..
صداع يفتك بها .. أنفاسه .. أنفاسه ..

أغمضت عينيها بقوة .. انسابت دموعها رغماً عنها.. لاتقدر على الفكاك من الذكرى.. تلك الأنفاس المشبعة بالحقد.. تلامس بشرتها العاجية بقذارة.. تلك الهمسات الحقودة .. تلك الكلمات البشعة التي وسمتها الى الأبد.. بكت بمرارة .. مسدت ذراعيها حتى الألم .. علها تهرب من الذكرى الماثلة أمامها كصورة حية لاجدال فيها ولم تقدر.. شهقت بألم .. همست تستجدي رحمة الله وهي يائسة:

-ربي .. أرجووووك رباه ساعدني .. ساعدني يارب..

***

ماذا سيفعل لو رفضت طلبه؟؟!! هل يعقل أن تفعل؟؟ بدت مصرة على الرفض.. بدت في حالة سيئة وكانما تعاودها ذكريات بشعة ترغب بالهرب منها الى أقصى مكان؟؟ ماذا سيفعل؟؟ هل سينتهي كل ماخطط له بهذه الطريقة؟؟ يجب عليه أن يجد سبيلاً لاقناعها .. ولكن كيف؟؟ كيف؟؟

مسد رأسه بألم وصداعه يعاوده بقوة أكبر.. نظر لفراشه وتذكر أوامر خيمين له بالراحة .. ولكنه عاد وأشاح عنه حين سمع الطرقات الهادئة على الباب .. لتدخل والدته بعدها ..

-بني .. تعال لتتناول بعض الطعام..

أشاح ببصره عن صينية الطعام وهو يقاوم رغبته بالتقيوء..

-لاشهية لي أماه ..

لابني.. خيمين قال بأن أصنع لك هذا النوع من الطعام ليعيد لك عافيتك..

سخر بابتسامة وهو يراقبها بحنان .. لايعرف ماذا ستفعل لو عرفت الحقيقة عنه.. قد تسقط ميتة.. حين تدرك أي وحش هو ابنها وماينتظره من مصير اسود..

تنهد ونظر الى سماء توسكاني الغائمة.. قد يهطل المطر هذا المساء.. حينها فكر

بشيء.. لو تقدر أمه عليه..
نظر لها وهمس:
-أمااه .. أحتاجك بأمر..
نظرت له امه متسائلة فأشار لها لتجلس الى
جواره وهو يهمس:
-تعالي ..
قلقة .. جلست تنصت لابنها .. ليتعاظم
قلقها ويمتزج بالذهول ..من مطلبه الغريب ..
والذي لم تتوقعه قط ..همست تتسائل:
-بني .. هل تدرك ماتقول؟؟
تنهد مارسيللو وهمس:
-نعم أماه.. أعنيه تماماً.. أنا أريد سيليا زوجة
لي.. أريدها ان تكون أماً لبيرتو..
اتسعت عينيها وهمست:
-وبيـا؟؟!! ماذا ستفعل مع بيـا؟؟!!
-لم أعدها بشيء أمااه.
صرح بهدوء لتنهض أمه بعصبية:
-ولكنها واثقة من زواجك بها خصوصاً بعد

ماحدث معك.
عقد حاجبيه وحريق يشتعل بداخله..
للذكرى التي اجتاحته من كلام أمه..
نهض بعصبية:
-لم أعـدها بشيء بتاتاً.. نهائياً اماه..
ولاأريـد لهذا الموضوع أن يتكرر أمامي.. أنا
أريد اماً لبيرتو وليس امرأة لايطيقها هو
نفسه وهي لاتبحث الا عن متعتها
الشخصية،،
ونظر لعيني والدته المضطربة هاتفاً:
-بيا لاتريد سوى أموالي أماه.. هي تبحث
عن ثروتي فقط.. ولست مستعداً أن أقدمها
لها على طبق من ذهب.. أتفهمين؟؟
ارتبكت والدته ونهضت تربت على كتفه:
-حاضر بني.. فقط لاتزعج نفسك
أرجووك.. خيمين قال..
-فليذهب ماقاله خيمين للجحيم ..
صرخ بعصبية وهو يتخلص من يديها ..
ليقف أمامها لاهثاً:

-سوف تكلمينها أمي.. أليس كذلك؟؟
شحب وجه السنيورا فاليريا وهي تومئ برأسها ليتنهد هو بضيق ويهمس:
-جيد .. أريد موافقتها غداً اماه .. مهما فعلتي ومهما قلتي أحتاجها أن توافق ..
-ألهذه الدرجة؟؟
هتفت مصعوقة لتقابلها عيناه اليائستان وهو يهمس:
-أحتاج اليها أمي..يجب أن توافق.
-أتحبها؟؟!!
تسائلت شاردة .. فصفعته الكلمة بقوة على وجهه.. يحبها؟؟!!
تصاعدت ضحكة ساخرة من أعماقه .. أدمته حتى النخاع .. أحبها؟؟!! هو لم يُحب ولم يعشق سوى مرة واحدة في حياته.. وبعدها مات .. أيشعر الميت بالحب؟؟!!
رفع لها عينيه ببؤس لم تره فيهما منذ زمن.. جعل قلبها يلتوي ألماً لأجله وهو يهمس:
-لامكان في الحب في الباقي من حياتي أمي.. فلاتفكري هكذا.. أنا أحتاجها لأجل بيرتو.. أريده ان يشعر بتواجدها حقاً في حياته كأم له.. ليس أكثر..
لم تصدق.. شيء في أعماقها أنبأها أن ابنها يُخفي عنها أكثر مايُفصح .. ولكنه يبدو مرهقاً بدرجة كبيرة ولامجال للتساؤلات الأن.. اومأت له موافقة وتمتمت باستعدادها لمساندته وهي تنصرف من الغرفة تتركه هو وبؤسه وقد قلبت أكبر مواجعه وحركتها لتطفو على السطح .. الحُب.. ماذا يعرف هو عن الحب.. ماذا تعرف روح مكسوة بالسواد والحقد عن أكثر المشاعر نُبلاً ..
تنهد بقوة وأمال رأسه على مسند المقعد ليغرق رغماً عنه في ذكرياته.. ويحاول أن ينسجم معها كلياً .. علها تخفف عنه وجع النسيان الذي لايساعده قط ..

***

مضى يومان...
هو معتكف في غرفته السوداء بحجة
الراحة التي أمره بها خيمين .. وهي غارقة
في مسيرتها مع بيرتو.. كلما نظرت اليه
تذكرت عرض والده .. وكلما تذكرته
نحته عن رأسها بذات السرعة كمن يهرب
من قدر الى آآخر..!!
اما هي فقد كانت تراقبها من بعيد .. بكل
صمت .. خلال اليومين الماضية تريد
استشاف مارآه ابنها بها ليصبح بذلك
الاصرار على الزواج منها وليس من أي سواها!!
ورات الكثير..
اهتمامها البالغ ببيرتو كان واضحاً .. عبوسها
وحزنها كله يختفي حين تكون معه ..
هدوءها والقوقعة التي كانت تتشرنق بها
منذ جائت الى منزلهم كلها تتلاشى حين
تكون برفقة الصغير!!
الأن عرفت ماعناه مارسيللو حين تحدث أنها
المناسبة لتلعب دور الام للصبي الصغير..
ولذا قررت أن تقف الى جواره.. مهما كان ..
بعد الغداء الذي لم يشاركهم فيه مارسيللو
كعادته في اليومين الأخيرين.. نهضت
السنيورا فاليريا في عينيها نظرة تصميم:
-سيليا .. تعالي معي.
ارتسمت الحيرة في عينيها ولكنها لم
تعترض.. بل رافقت السنيورا لغرفة الجلوس
الصغيرة المشرفة على الحديقة وتحت
ظلال الشجر جلستا في الشرفة الخارجية ..
في الهواء العليل البارد قليلاً ..
وحول فنجانين من القهوة السوداء..بدأت
السنيورا بالحديث..
-مارسيللو حدثني عما طلبه منك..
تشنجت أصابع سيليا حول فنجانها وتحجرت
عينيها ولم ترفعهما عن الفنجان قط..
-سيليا .. أليس لديك شيء ماتقولينه لي..
قالتها السنيورا بحنان جعل سيليا
تضطرب..وبارتباك وضعت الفنجان وهي

تشعر بالذعر يجتاحها..
-بنيتي .. ألم تسمعينني..
تساءلت السنيورا بقلق فنظرت لها سيليا بحذر وهمست:
-لقد طلبت من السنيور أن ينسى الأمر.
-ولكنه لم يفعل..
أكدت فاليريا لترتجف سيليا والأولى تضيف:
-مارسيللو عنيد للغاية حين يتعلق الأمر بما يريد .. وليس من السهل أن يتركه قبل أن يتحقق للأسف بنيتي.
-مايطلبه مني مستحيل..
همست مخنوقة .. ألا يعرف مايطلب؟؟ انه مجنون ..
فكرت بذعر..
-لماذا ترفضين الزواج به بنيتي... انه .. ولا أقول ذلك لأنه ابني.. ولكنه فعلاً .. رجل جيد وليس من العدل أن ترفضيه بدون ابداء أسباب؟؟
حاولت النهوض والهروب ولكنها لم تقوى
تحس بانها غارقة في حوض من رمال متحركة تغرقها أكثر وأكثر للأسفل..
همست :
-انا لاأريد الزواج سنيورا.. لاأستطيع..
-لماذا؟؟
هتفت فاليريا بدهشة:
-أنت شابة وجميلة لماذا تحكمين على نفسك بهكذا حكم.. أجيبيني بنيتي؟؟
-لأني لاأستحقه أبداً..
هتفت شاهقة .. لتتسع عينا فاليريا وسيليا تنهض هاتفة بألم:
-أنا لاأستحق ولدك سنيورا .. هو يستحق امراة أفضل مني بكثير.. يستحق امراة شابة تعطيه مايستحقه من اهتمام وحب..
وأنا ..
وتعثرت كلماتها وهي تواصل بألم:
-أنـا .. منتهية .. مجرد شبح يعيش

بلاهدف..
وقبل أن تستفسر منها أكثر كانت تتخلص من ثقل ساقيها وتهرول هاربة الى الحديقة .. لم تركن لنداءات السنيورا المتكررة .. ولم ترى العيون الناظرة لها بكره وحقد .. لم ترغب سوى بالهرب.. بالركض بعيداً حتى لاترى احد ،، ولايرى أحد سرها الذي كشفته عينيها ..
ثوبها الطويل كان يُعثر خطواتها المتسارعة .. كادت تقع مرة .. ووقعت مرتين .. في الاولى نهضت بسرعة كي تبتعد أكثر.. وفي الثانية .. لم تقوى ..
ذكرى ذاك اليوم الرهيب هاجمتها بعنف .. كانت تتألم .. بطنها تؤلمها ..الغثيان لايُفارقها ..
ذلك اليوم كانت تستلقي على فراش على غير العادة .. منذ عرف .. وهو يدعها هنا .. وسط رفاهية تخنقها .. وكأنما تحمل

النفيس والغالي بين أحشائها ..
وقفت أمام مرآة طويلة تنظر لبطنها .. ضغطت عليها بقوة .. تحمل جزءاً من شيطانها ..
بكت بوجع .. افترشت الأرض يحوطها شعرها الطويل .. تنعي براءتها..!! حلمها..!! تنعي شبابها الضائع...
حين شعرت به الى جوارها .. لم تعد تخافه ..!!
اكتشفت بيأس.. فقد علمها شعوراً اكثر قوة من الخوف.. أكثر منه سيطرة .. أكثر منه بأساً ..
علمها الخنوع .. علمها الاستسلام ..
علمها أن تصبح دمية بين يديه .. وهاهي .. مجرد دمية ..!!
لامس شعرها بيده المحاطة بالجلد الأسود .. ليرفع ذقنها اليه .. وتنظر عينيها الخاويتين في عينيه .. استسلام حتى الثمالة لشيطان لن يقبل بسواه ..

رأت ابتسامته تشق شفتيه الحادتين ..
نهضت تساعدها يداه .. وقفت بين ذراعيه ..
بلاحول ولاقوة ..
لامس بطنها .. ثم همس باذنها في حفيف وحشي:
-قاربت على سداد دينـك .. فحافظي عليه .. والا مزقتك بلارحمة بيدي..
.....
شهقت بالبكاء.. توسدت الأرض الندية ومزقت أعشابها بقوة ..
تريد الصراخ .. ألا يكفي ان تجبر مرة .. ألا يكفي ..
شعرت حينها به ..
تيبست .. وجحظت عينيها .. تسمع هسيس أنفاسه ... تشعر باقترابه ..
حرارته .. لمسة يده على شعرها الذي فك من عقاله .. أصابعه التي امتدت تلامس ذقنها وترفع رأسها لوجهه ..

للحظة فقط صعقتها عيناه كعينا ذاك ..
وان اختلف لونهما .. ان اختلفت نظرتهما ولكن... شيء ما ؟؟!!
تراجعت بذعر صارخة بقوة ..
لتتلقفها ذراعاه .. ضمها بقوة الى رحابة صدره .. هدهدتها كلماته الناعمة ..
"لاتخافي سيليا .. لاتخافي مني .. "
حاولت الفكاك .. ولكن ..
تلك الرقة في صوته .. تلك النبرة ..
تسللت الى أعماقها .. تسربت عبر مسامها ..
واجتاحتها بقوة .. هدأت مقاومتها تغيرت ملامح وجهها الخائفة .. ليحتويها الخنوع !!!
بكل سيطرته .. قربها منه أكثر..
" لن أؤذيك ياصغيرتي.. ولن أسمح لأحد بأن يؤذيك"
" كوني لي سيليا.. كوني لي وسأحميك حتى من نفسك ياصغيرتي"
رفعت عينيها اليه بذهول..

الصوت .. مستحيل ..
فكرت بذهن غائب .. شارد وسط مشاعر لم تفهمها .. غائبة عن كل ماحولها سوى الرجل الذي ضمها اليه بحنان الكون !!
"لن تكوني لسواي سيليا"
" لن تكوني لسواي"
أحنى رأسه نحوها .. نحو تلك العينين الواسعتين .. نحو الشفتين الشهيتين وهمس بتملك:
-لن تكوني لسواي،،،
وبخنوعها الجديد.. استسلمت لقبلته .. احساس عارم بالشلل وهي تستقبل عنف شفتيه القاسيتين .. تطبقان على أنفاسها بلارحمة .. بكل قوة .. وقد عرف بأنها تحتاج للسيطرة من جديد .. تحتاج لان تسقط في الخنوع من جديد ... تحت يديه...
***
الأيام التالية كانت كالاعصار..

استسلمت .. وتأكدت من خضوعها بصورة لم ترها من قبل الا حين كانت تحت رحمة الشيطان .. !!
فاجأ الجميع ..وأعلن زواجهما في تلك الليلة على العشاء..
وتحت نظرات بيا الحقودة .. وعيني أليساندرو الساخرة .. تلقيا التهاني من فاليريا وأنيتا شقيقته الصغرى .. وكذلك جوهان الصامت ..
حتى بيرتو أعلن فرحه بأنها ستصبح أمه ...!!
هي لم تشعر بكل ماحولها .. كانت ساهمة غارقة في وحل اللاروح الذي أغرقها بها بسيطرته المحكمة حولها .. لاتعرف كيف تسلل الى ضعفها وأخذ زمامه ليوجهها كيفما يريد!!
كانت قراراته حازمة .. الزفاف سيتم بعد يومين اثنين.. لامجال للتأخير .. وبعدها سيذهبان الى منزل العائلة في ميلانو

كرحلة شهر عسل..
لم تعترض.. فلامجال للاعتراض..
ينظر لها بقلق.. يعرف بأنه استغل ضعفها الذي رآه ولايعلم سببه الا شكه بأنها تغرق في ذكريات مزعجة .. ولذا استغل هذه النقطة .. وبكل قوته ..
تنهد وأغلق عينيه هرباً من منظرها البائس .. كذبيحة تساق الى المذبح .. لم تعترض بعد .. لم تعترض أبداً ..
في تلك الليـلة كانت تجلس على شرفتها تنظر للقمر.. بدر.. مكتمل .. من المفروض أن ينشر نوره حولها .. ولكنها كانت تغرق في ظلام .. حاد لم تجد فيه أي بصيص ضوء..
سمعت باب غرفتها يُفتح .. وحينها راتها.. نهضت بتوتر وسمعتها تصيح بصوت حاد:
-أنت لن تتزوجيه أبداً ..
راقبتها بخمول.. لم تعد تقوى على الجدال..
باستسلام همست:
-ساتزوجه .. ليس بيدك ولابيدي أي شيء نقوله.. أو نفعله.
اتسعت عينا بيا بجنون وهي تنظر لهذه الفتاة التي جائت اليهم من العدم وتنوي اصطياد مارسيللو بكل برود.. كانت قد تصنتت عليها مع فاليريا ذاك اليوم .. وكادت تموت من القهر وهي ترى السنيورا تقنعها بالزواج منه وهي ترفض بكل وقاحة.. ولكنها شعرت بالارتياح رغم كراهيتها لها وحقدها عليها ..
ثم جاءا معاً في المساء.. يُعلنان أن الزواج قائم..
كادت تموت قهراً وحقداً ..
وهي لن تتوقف أبداً عن المحاولة حتى ترحل هذه المجنونة من هنا الى الأبد..
-سوف ترحلين الان .. مادمت تقولين بأنك لاتريدين الزواج فلم لاترحلين؟
نظرت لها بخواء وهمست:

-لااستطيع ..
اتسعت عينا بيا بحنق وصرخت:
-انت مجنونة ؟؟ كيف لاتقدرين.. اهربي من هنا .. ارحلي ..
...
-بيا!!!!!!!!!!!!!
اتسعت عينا بيا بذعر والاثنتان تلتفتان الى مصدر الصوت حيث وقف مارسيللو بقوة أمام الباب .. عيناه تصبان جام غضبه على المراة التي تحاول نسف كل مخططاته .. عن بكرة أبيها ..
-غادري الأن بيا .. اخرجي من هنا قبل أن أرميك خارجاً بنفسي..
اقتربت منه بحدة وصرخت:
-لماذا تعاملني بهذه الطريقة ..
ورفعت يدها تشير لسيليا المراقبة بصمت:
-من أجل هذه الدخيلة الحقيرة ..
زمجر من بين شفتين مطبقتين:
-بيا!! .. غادري الأن والتزمي الاحترام .. سيليا ستصبح سيدة هذا المنزل منذ الغد .. وان لم يعجبك هذا فارحلي.. لااحد يجبرك على البقاء.
اتسعت عينيها بقهر وبدأت دموعها تتجمع في مقلتيها:
-اتطردني مارسيللو؟؟!!
-أنت وكل من يفكر باستغلال كرمي وضيافتي له .. تعلمين أن المنزل منزلي أنا .. وأختي.. ووجودكم هنا لايعني الا حسن ضيافتي فقط.
قالها بحدة جعلتها تجفل بألم قبل أن تتراجع وتنظر لكليهما صارخة بحقد:
-فلتذهبا للجحيم معاً..
وأسرعت راكضة للخارج ..
تنهد بضيق ونظر للأخرى الصامتة كقبر..راقبها تجلس بهدوء .. وكانما لم يحدث مايعكر مزاجها او يفرحه قبل قليل.. اقترب منها وهمس:

-هل آذتك بكلامها؟؟
رفعت عينيها اليه .. بتلك النظرة الخاوية التي لايفهمها:
-لا..
انتظر أن تواصل بعض كلام أخر.. ولكنها لم تفعل سوى العودة لصمتها .. فزفر بضيق وأشاح عنها قائلاً:
-الحفل سيقام في السادسة .. فكوني جاهزة .. ثوبك ستعطيك اياه امي..
-لن أرتدي ثوباً أبيض..
همست بشحوب.. فتوقف لينظر اليها .. للحظات قبل ان يبتلع ريقه ويجيبها:
-كما تشائين..
وتركها ليغادر.. استلقت على سريرها وشخصت بعينيها للسقف .. لن تنام الليلة .. لقد ودعت النوم .. ودعته الى الابد..

***

في السابعة والنصف كانت زوجته .. !!

تجلس هناك في أحد المقاعد حول طاولة مستديرة حولها عائلته..ماعدا بيا التي لم تحضر المراسم التي أقيمت في فناء القصر الخلفي تحت ظلال الأشجار.. على يمينها يجلس هو .. وعلى يسارها بيرتو المتحمس بصورة لاتصدق بكل الاجواء غير العادية حوله .. والأخرين حولهم يتبادلون الضحكات والكلمات العابرة لتمضية الأمسية .. حتى أليساندرو كان هناك .. تغلف ضحكاته وكلماته السخرية ولكنه حاضر..
أما هما .. فكما النقيض..
هي بثوب من الحرير الأزرق الفاتح يصل لكعبيها وقبعه واسعة الحواف تظلل وجهها الخالي من المشاعر.. وقلب توقفت نبضاته عن كل شيئ سوى مهمتها الرتيبة لإيصال دماء الحياة لأطرافها الميتة..
وهو بسواده المعتاد من قمة رأسه لأخمص قدميه وتجهمه الذي يحتل وجهه ..

الاثنان صامتان كالقبور.. وكأنما لايطيقان حتى انتهاء هذه الشكليات المثيرة لاشمئزازهما ..
حتى انتهت .. ورافقها هو الى جناحهما المشترك.. لن تنكر الارتجافة التي شملتها كلها حين مس بيده مرفقها يقودها الى الداخل .. ولن تنكر جفاف ريقها وهي تكتشف برعب أنها ستشاركه الغرفة؟؟!!
نظرت له متسعة العينين كانت تصدقه حين قال انه لن يتعرض لها .. ولكن بعد قبلته ذاك اليوم .. باتت تشك .. وبقوة.
دخلت بسيقان من عجين مصرة أن تلتوي تحتها وهي تقاوم بضعف حتى ارتمت على احد المقاعد وأحنت رأسها .. تقاوم الكثير ..
بين رغبتها بالانفجار بالبكاء..
وذكريات مجنونة تصر على الهجوم عليها بلارحمة ..
ومشاعر تتخبط بين جنباتها بلاتوقف..
واحساس عاااارم بالخوف ..
.....
وقف ينظر اليها من علو .. يرى تهدل كتفيها تحت قماش الثوب الذي أظهرت تفاصيله الناعمة روعة خطوط جسدها الفتي .. وجعلته يغرق في ذكريات وحشية سرعان مااخفاها تحت قناع الجمود الذي اعتاد العيش فيه منذ زمن ..
-تلك غرفتك التي في الزاوية ..
رفعت له عينيها .. تلمعان بقوة من بحر الدموع المخنوقة بالداخل ولاتجرؤ على الانهمار.. اقترب وأزاح قبعتها الضخمة لتظهر تفاصيل وجهها الرقيق .. محتقن وذابل .. كوردة منسية .. اشتدت خصلات شعرها خلف عنقها بتزمت لتتفلت منها بضعة شعيرات حول وجنتيها وعلى جبينها .. يتوق ليفلته من عقاله .. ولكنه سيطر على اصابعه بقوة وهمس لها:

-اذهبي للنوم سيليا .. لقد كان نهاراً متعباً لكلينا.
نهضت بصعوبة .. تعثرت بخطواتها نحو الباب الذي أشار عليه .. كان موارباً ويحوي خلفه غرفة نوم جميلة بسرير مزدوج وستائر حريرية تحوطه بنعومة .. نظرت عبر الباب اليه ورأته لايزال يتشبث بقبعتها .. وينظر اليها بغموض جعلها تسرع لاغلاق الباب وكأنها لاتصدق ماقاله ..
اغلق عينيه بارهاق .. رمى بالقبعة على المقعد حيث كانت تجلس واتجه للغرفة الأخرى .. المجاورة لغرفتها .. بسواد غرفته المعتادة .. استلقى على فراشه وراقب السقف الذي بدأ يدور بجنون أمام عينيه .. قبل أن يرحم نفسه ويغلق عينيه ويغط في نوم .. أسود .. بلاكوابيس..
للمرة الأولى منذ سنوات !!!

أما هي فلم تقوى على التنازل لسلطان النوم .. بل ظلت تعاند وتقاوم كعادتها ظلت تناظر السقف وكفها يستريح على دقات قلبها المتوثبة تريد أن تنقل له بضع برودها ولكن هيهات .. كان يغلي .. ويتخبط بلاتوقف .. أغمضت عينيها تردد بعض الدعاء علها ترتاح .. تصلي بلاتوقف علها تجد بعض السكينة..
لتمضي الليلة على هذا الحال .. بين صلاة راجية .. ومقاومة عنيدة ..
وحين أشرقت الشمس كانت مستيقظة تجلس على طرف فراشها ينسدل حولها شعرها كشلال وعينيها مسمرتين على الافق المتلون بلون الشروق البرتقالي .. ودفئها يغمرها بحنان وكأنما أمٌ رؤوم .. نهضت بتردد تقف على الشرفة تداعب قماش ثوبها الخفيف نسمات الصباح وتغمرها أشعة الشمس .. حين لفت انتباهها حركة في الحديقة أسفلها .. لتنظر

مجفلة وتراه هناك ..
يقف تحت احدى الاشجار ينظر اليها متجمداً
.. شعرت بانقباض في صدرها وانحبست
انفاسها وهي تنظر لأليساندرو من علو ..
خافت منه ولم تشعر بالارتياح قط ..
تراجعت بسرعة للداخل ومنه الى خارج
غرفتها .. هاربة من شيء ما لاتعرف كنهه
تراه في عينيه .. وكأنما هو من سيدمر
عالمها كله ..
لتتوقف بحدة وهي تصطدم بالأخر..
زوجـها.. !!
شهقت بقوة ورفعت كفيها تسند نفسها بعد
أن كادت تقع بقوة على الارض .. ليحوطها
هو بحرص وهو يهمس:
-احذري..
رفعت عينيها بسرعة لتلتقي عيناه .. تسمرت
لنظرته الناعسة .. اهدابه المسدلة وذاك
الكسل الذي يطل من خلف جفنيه.. كان

يبدو مختلفاً .. كلياً مختلفاً لدرجة حبست
معها أنفاسها .. ملامحه مسترخية وكأنما
هم ثقيل انزاح عن كتفيه ؟؟!!
احمرت وجنتيها بقوة لتقاربهما .. لم تشعر
بالنفور منه .. لم تحاول التخلص من يديه
حولها لدهشته كانت تقترب أكثر وكأنها
تلوذ به هو !! ياللسخرية .. تاملها بصمت
مذهول .. عينيها الواسعتين تنظران له
ببراءة لم يسبق ان رآها في سواها .. شعرها
الناعم ينسدل كشلال كستنائي حتى
ظهرها تداعب شعيراته أصابعه باغواء
كامن ليلامسه ويتنعم باحساس يفوق
الوصف .. ولكنه سيطر على نفسه بقوة..
قبض على كتفيها .. وأبعدها عنه وهو
يهمس:
-صباح الخير..
ردت بهدوء وهي تبتعد .. تتراجع عنه وقد
غزتها الحمرة كلياً .. عقلها يصرخ لها ان
تركض بعيداً عنه ولاتجرؤ.. شيء

كالمغناطيس يجذبها.. تسمرت تنظر له .. لازالا معاً بثياب العرس.. وان ارخى هو أزرار قميصه .. وهي اسدلت شعرها .. ومن ملامح وجهه يظهر بأنه استغرق في نوم عميق..

-تبدو بخير..

همست برقة .. فابتسم .. لاول مرة تراه يبتسم بهذه الطريقة المسترخية ..

-انا أشعر بذلك .. شكراً لكِ..

لم افعل شيئاً..

قالت مأخوذة .. فاتسعت ابتسامته لتصعقها:

-بل فعلتِ كل شيء..

خفضت عينيها بخجل وقلبها يدوي في أذنيها .. لاتعرف سبباً لاضطرابها .. لرغبتها ان تقترب منه .. وهي التي لم تعرف قبله سوى الهروب ..

-يجب علينا تغيير ثيابنا..

همس بهدوء فاومأت ليتركها بعد لحظة تردد صغيرة قائلاً:

-سأسبقك أنا فعلي الذهاب للاسطبل..

لم ترد سمعته وهو يتوجه للحمام .. فأسرعت راكضة لغرفتها .. جلست على طرف مقعد حائرة وبقوة .. مالذي يحدث لها؟؟!! لم تعتد قط قرب رجل منها بهذه الطريقة دون أن تشعر بالنفور والفزع.. ويالسخرية فهو بالذات يشعرها بالامان؟؟!!

تنهدت وشردت بعينيها .. الى متى يظل هكذا احساسها؟؟!!

ولم تعرف انه سيظل لوقت طويل.. لقد مرت ايام عديدة واحساسها يتفاقم .. يكبر ويكاد يفيض.. كل يوم تمر به معه تكتشف كم أنه شخص رائع.. رجل فذ .. يدير اعمال عائلته بقبضة حديدية .. ويحنو على رأس طفله بذات اليد ..

كانت تعيش بهدوء.. وقد طغت عليها قوته تحميها من الكثير والكثير من تعليقات بيا الساخرة وهجمات اليساندرو الشرسة

بعينيه ولسانه.. كانت تحت حمايته كلياً
..
اعتادت في المساء أن تبقى بغرفتها لتقرأ ..
في حين يجلس هو الى مكتبه يراجع أعماله
الكثيرة .. ليصعد اليها بعدها ويتحدثان
بهدوء وسلام لعدة ساعات .. قبل أن يخلدا
للنوم كلٌ في غرفته .. أحياناً كانت
الساعات تمتد لتصل للفجر.. وتغفو على
الكرسي وهي تنظر له بانبهار يحكي لها
عن تاريخ عائلته وأعمالها .. أو تاريخ
توسكاني العريق..
كانت تعيش يومها كله بانتظار هذه
الساعات .. هذه الاوقات الثمينة التي تشبع
بعض جوعها الذي تعانيه اليه طيلة اليوم..
نعم .. كانت تجوع للبقاء معه ..
حتى الليلة .. كانت مشاعرها أكثر قوة ..
لقد تأخر عن موعده .. نظرت للساعة
الخشبية الثقيلة على الحائط وتنهدت ..

قاربت العاشرة ولم يأتي بعد؟؟!!! تنهدت
بضيق وفتحت الشرفة تنهل من النسمات
المتراقصة .. ولكن .. لم يفلح النسيم
العليل في تهدئة قلقها ..
عضت شفتيها بتوتر قبل أن تحسم قرارها
وتسرع لارتداء رداء خفيف على ملابس
نومها الطويلة وتأملت نفسها في المرآة ..
كانت عينيها متسعتين بقلق .. كرهت
وجهها الصغير وعينيها اللتان تظهرانها دوماً
على أنها مريضة .. زمت شفتيها بقوة ..
وأسرعت بالنزول الى مكتبه ..
كانت قدميها تصدران دبيباً خافتاً على
الرخام .. لتدرك أنها نسيت خفيها وسط
الدرج .. ولكنها لم ترجع بل سارعت
للنزول الى المكتب.. كان الباب مغلقاً ..
توقفت مترددة قبل أن تستجمع شجاعتها
وتهمس لنفسها:
-كوني قوية سيليا .. يكفي جبناً ..
اخذت نفساً عميقاً وهي تتلفح بوشاح

الشجاعة وتطرق الباب بقبضتها الصغيرة بخفوت .. لم تسمع رداً للحظات وتجهم وجهها الذي كانت تغزوه ملامح الترقب وكادت تعود ادراجها حين سمعت أمره الخافت بالدخول ..

خفق قلبها بجنون .. وبردت يديها وهي تدير مقبض الباب مرتجفة لتدخل الى عرينه..

....

كان يراجع الكثير من حسابات العمل .. تراكم اوراق يصل لاسابيع وهو مهمل لعمله ليقدر على اللحاق بتلك المرأة التي تفقده صوابه يوم بعد الأخر.. كانت اللحظات التي يقضيها معها قبل أن يعود كلاً منهم الى غرفته هي مايعيش لاجلها يومه ..

واليوم قرر التاخر ليس بارادته .. ولكن مرغماً لإنهاء ماأهمله..

سمع حينها الطرقات الخفيفة ..زفر بضيق وتخيلها بيا قادمة بأحد اعذارها التي لاتنتهي .. وكاد يتجاهلها ولكن خذله لسانه بسرعة وهو يأمرها بالدخول .. لعن نفسه على حماقته قبل أن تتسمر عيناه على ذاك الطيف النحيل الذي انسل عبر ضلفة الباب اليه ..

نسمة منعشة وباردة تلك التي هجمت عليه واندفعت تغمر صدره وهو يراها ..

-آسفة ..

همهمت مرتبكة ..

-لقد .. تأخرت .. ورغبت بالاطمئنان..

أكملت وهي تخفض عينيها للأرض.. كي تهرب من عينيه التي لم تتركها للحظة ..

وجد نفسه فجأة أمامها .. يحيط ذقنها بأصابعه ويرفع عينيها الى عينيه .. لم يرى في حياته صفاء كهذا .. لم يعرف مشاعر كهذه منذ سنواااات ..

كميت .. يعود للحياة !!!

هي كانت تعويذة شقاءه .. هي السحر الذي قيده منذ سنوات .. وهي من بيدها أن تفك

اسره وتحرر روحه المقيدة .. الى الأبد..!!
كان يهرب من احساس يقيده كما تفعل نظرة عينيها الأن .. كان يريد أن ينجو منها ليجد نفسه يتقرب اليها كمسحور.. ولم تكن هي تساعده ابداً .. بهذه النظرات القاتلة كمحترفة اغواء .. كانت تنتهك مدنه وحصونه .. كانت تهدم السور الضخم الذي شيده حول قلبه منذ سنوات.. تخترق غاباته المحروقة وتنشر فيها عبق أريجها وسحرها المكنون .. كانت تعيده الى الحياة ..
رغم أن كل ماأراده يوماً .. هو الموت بسلام !!
-سيليـا..
همس باسمها .. لتقترب هي منه .. كدميه يتحكم بخيوطها .. يجذبها وقتما يريد ويرخيها وقتما يشاء.. أسيرة لتلك النظرة من عينيه تقدمت بجرأة لم تمتلكها .. ليغمرها بين ذراعيه .. ويأسر شفتيها الغضتين بقسوة شفتيه ..
تشبثت غريزياً بكتفيه .. تحمي نفسها من قسوة الانهيار أرضاً ..
ليحيطها بذراعيه في تملك سافر.. تحدى كل احساسه بالضياع .. وكأنه أسد يبسط على مملكته أخيراً ..
ضمها بقوة .. وقبلته تطير بهما معاً في رحلة اشتاقت لها كل جوارحهما معاً..
لم تخشى الخوض في غمار عاطفتها هذه المرة .. هي لم ترغب بالهرب .. بل خشيت أن ينتهي هذا السحر الذي يجمعهما ..
وارتاعت من فكرة أن يهرب هو .. !!
فتشبثت يائسه .. تحيط عنقه بذراعيها .. فرغم كل كوابيس ماضيها .. كانت امرأة .. تبحث عن الأمان!!
حتى الهواء في وجودها بات شيئاً يمكن الاستغناء عنه .. طالت قبلتهما حتى لم يعد يفكر كيف يمكن أن تنتهي .. ولا

أي طريق يمكن أن تقوده اليه .. فقط ضمها
اليه أكثر .. أراد أن يخفيها بين ضلوعه ..
علها تسكن الخافق بينهم وتهدئ من ثورته
.. حينها فقط سمع همهمتها الغارقة بنشوتها
..
تحمل حروف اسمه بلغة لم يعرفها من قبل..
" مارسيللو" ..
همست بها بخفوت.. وهي تقترب منه أكثر..
ليبتعد عنها لإنشات قليلة كي ينظر في
عينيها فقط ..
وليته لم يفعل ..
كل احساسه وللحظة .. مات !!
نظر اليها يحاول التقاط انفاسه.. لاتزال
قريبة منه .. لدرجة ان حرارة جسدها
انتقلت لتشعله بالكامل..
تراجع عنها ينظر للعينين اللاهفتين
بطريقة لم تألفها قط منه وكأنما ينظر من
خلالها ولايراها يرى ذكرى عبرت في مخيلته
واستوطنتها بالقوة ليشحب وجهه وتغادره
الدماء وهو يتراجع عنها اكثر ويفلتها من
بين ذراعيه حملت عينيها تساؤلها
مارسيللو!!!
لم يجبها لم يكن ليستطيع حتى سماعها
كان في مكان آخر وزمن آخر بعيد عنها
كان يواجه اشباحاً هاجمته بلارحمة
مزقته بذكرى لم تفارق مخيلته حتى باتت
واقعاً قاسياً يعيشه كل يوم..!!
ذكرى كان فيها الشيطان ليصبح ضحيته
الان في الواقع..!!
تذكر القسوة والوحشية التي سكنته!!
تذكر تعذيبه للملاك الرقيق الذي كان
يأسره...
تذكر نفسه وحشاً يبسط جبروته على
غزال ضعيف لم تكن تقوى حتى على
المقاومة..
الم استحكم انفاسه وباتت عصية على
مغادرة صدره..

تصفد جبينه عن عرق غزير وهو يشيح عنها
بقوة هاتفاً بخشونة:
-اتركيني وحدي.
اتسعت عيناها وتراجعت بذعر وهي تصحو
على ماكانت تفعل وماكانت تتوسله حرفياً
منه..!!
هربت منه مسرعة وكأنما تلاحقها
الشياطين رفعت طرف ثوبها وركضت الى
غرفتها نحو سريرها وارتمت عليه شاخصة
عينيها في الظلام لاتعرف حتى كيف
وصلت !!
أنفاسها تتلاحق بقوة ،، تلهث بلاتوقف وهي
تضغط على صدرها تهدئ من ضربات قلبها
المتخبطة كانت تحاول ان تفسر ماحدث لها
بعقلانية بلاتسرع ولم تقدر هي لم تسمح
لمطلق رجل بالاقتراب من محيط حياتها
بعدما حدث لها ... والان هذا !!!
ماذا تسميه ؟؟ لاتعرف حتى كيف بدأ؟؟

كل ماتعرفه ان وجودها الى جوار مارسيللو
يشعرها بالامان الذي افتقدته منذ سنوات..
معه لم تهاجمها تلك المشاعر المؤلمة
ولمساته لم تثر فيها ذاك الغثيان والرفض
المطلق على العكس لقد جعلتها تشعر
بأنوثتها من جديد وكأنها وردة تتفتح على
يديه.
اغمضت عينيها بقوة تريد لهذه الصورة الا
تفارقها هذه المشاعر القوية التي تهزها
بلااستئذان لاتريد ان تفارقها ضمت يديها
اليها... عانقت جسدها المرتجف بتأثير
لمساته الدافئة لاتريد ان تفكر بسبب
ابتعاده عنها وقد قرأ الدعوة على وجهها
بوضوح .. كم كانت مكشوفة؟؟!!
تضرجت وجنتيها بالخجل وهمست بذهول:
-كيف فعلت هذا؟؟؟
كيف تركته يلمسني هكذا كيف
طلبت المزيد كييف؟؟
فتحت عينيها بحدة وهي تفكر لماذا ابتعد

عنها لماذا لم يحاول استغلال ضعفها كأي رجل كان ليكون مكانه؟؟؟ تنهدت بضيق وتقلبت في فراشها انه امر متعب للقلب والعقل على حد سواء !!

"رباااه ساعدني"

ابتهلت بخوف وعادت تغمض عينيها تحاول الهروب - لأول مرة في حياتها منذ زمن - الى النووم !!

****

استسلم لذكرياته بضعف
ارتمى على كرسيه لاهثاً من قسوة مامر به من الذكرى وماتتبعها من ألم غزاه بحرقة وبلاتوقف فيضان من ذكرى هزته حتى النخاع حاول كغريق الهروب منها والنجاة منها بنفسه ولم يقدر استند على كرسيه حين فشل واستسلم ....
كان يعود لسنوات سنوات طويلة حوت حلمه بين يديها وفرشته امامه بكل حلاوته وفجأة انتزعته منه دون مقدمات ... أغمض عينيه بألم ...

كان يعيش هناك في روما مع عائلته الصغيرة
في منزل صغير في الضواحي كانت زوجته وابنه كل مايشغل حياته وقتها كل شيء متوقف على عتبة منزله كل شيء في حياته كان لايتجاوز تلك العتبة الصغيرة وماكانت تحويه من حب جارف وحنان متأصل ..
كان عمله كصحفي وكان وقتها يطارد قضية عمره كله .. ضد أخطر زعماء المافيا ..
كل شيء ابتدأ بزيارة من ذلك الرجل القصير له .. كان رجلاً كبيراً في العمر.. اشتغل منذ سنين عمره افتية في شركة ضخمة لتوريد الاسماك .. ولكنه وقبل عدة شهور رأى مالم يقدر على البوح به لأحد..

كان يتذكر كلمات الرجل المذعور وكأنما قالها له بالأمس..
" رأيتهم سنيور.. رأيتهم بام عيني .. وضعوا ذلك الرجل أمام عائلته في البرميل الضخم وصبوا بين ساقيه الاسمنت ليجف عليه ويأسره .. لم يرحموا توسلاته ولاتوسلات زوجته وبكاء طفليه.."
واتسعت عيناه برعب وهو يواصل بصوت مرتجف ودموعه تغرقه
" ثم قتلوا الطفلين أمامه.. كان ذلك بشعاً سنيور.. طفلين صغيرين اكبرهما لم يتعد السابعة من عمره.. قتلوهم ببشاعة امام أبيهما..اغتصبوا زوجته أمامه ثم قتلوها.. قبل أن يقتلوه هو الاخر بطلقة في الرأس ويكملوا صب الاسمنت عليه وعائلته ليخفوا جريمتهم كاملة "
تملكت روحه الغثيان وهو يسأل العجوز:
-ماذا كانوا يريدون؟؟

هز الرجل كتفيه وكفكف دموعه:
-اوراق.. اوراق كان يخفيها الرجل بحسب قولهم ..
..
تلك الليلة لم يغمض له جفن .. بحث وبحث في كل مكان وبعد عدة ايام اكتشف طرف خيط يقوده لكشف الحقيقة .. ووجد الخيط يقوده اليه .. ارنستو جالياني .. عملاق من عمالقة السوق السوداء.. والجميع يعرف علاقاته المشبوهة والجميع متأكد انه ينتمي للعائلة .. عائلة المافيا ..
وبفورة شباب .. لم يسكت .. كتب في الصحف عن الحادثة ..كتب وكتب .. وثار الرأي العام .. وبدأت تصدر أصواتاً متكررة بالبحث عن الجناة الحقيقيون والانتقام للرجل وعائلته.. وبدأ اسمه يصدح كباحث عن العد\الة .. وكان هو في قمته .. كان بطلاً خرج عن صمته وسط مجتمع اختار

وقنع بالصمت ضد جرائم وحشية نهشته
ونخرت هيكله المتداعي ..
لم يستمع مطلقاً للأصوات التي طالبته
بالتوقف عن الهجوم على المافيا .. ولميسمع
تلك التي توسلته ليفعلها .. كل شيء كان
يتجاوز الخطوط الحمراء هو كان يفعله
بطيب خاطر .. كان يطارد عملائهم وينشر
الاوراق التي تثبت ادانات الكثير منهم ..
بالذات الرجل القوي جالياني..
ولم تسكت العائلة ..
ارسلت التهديد تلو الاخر.. ولم يأبه .. كان
عنيداً .. شجاعاً .. ويدافع عن قضية .. رغم
ايمان الكل حوله بأنها خاسرة!!
وجاء التهديد الاول ..
جائت تلك المجموعة لتهاجم سيارته
وتحرقها .. لتصله التهديدات تباعاً .. بتسليم
اسم الشاهد الذي رأى عملية القتل.. ولكنه
لم يفشيه .. ابداً ..

حتى جاء ذاك اليوم الاسود ..
تلك الليلة كان قد طلب من زوجته أن
تأخذ ابنه وتذهب لمنزل والديها .. كان
يشعر بالقلق وقد تعاظمت رسائل التهديد
وباتت مصدراً حقيقياً لقلقه ..
دخل منزله تلك الليلة متأخراً وقد تجازت
الساعة منتصف الليل بمراحل .. كان
العمل مضنياً وكان هو مرهقاً للعظم ..
منزله مظلم وبارد يعرف بأنه خالٍ من سواه
.. دخل بسرعة مغلقاً الباب خلفه من برودة
الصقيع بالخارج .. ووقف هناك في الردهة
.. مسمراً بلاحراك ..
لم يصدق عيناه تسمرت كل حواسه وكاد
يقع مغشياً عليه..
كانت زوجتـه .. حبيبته ترقد أمامه
عاريـة .. !!
زوجته الجميلة الدافئة الحنونة مرمية
امامه هكذا بلاحراك غارقة في الدماء
لم يقدر على التحرك قيد انملة وهو ينظر

لجسدها المنتفض بألم..
ليقطع جموده صوت بكاء رضيعه الصغير..
التفت الى موضع الصوت ليجد ذاك الرجل يحمله وبيده الاخرى سكين طويلة كان يداعب بها عنق الصغير المحتقن بالدموع..
لم يعد يشعر بساقيه .. حارت كل حواسه أتنتفض لأجل حبيبته أم تهرع لانقاذ صغيره..
-هاقد أتيت أخيراً سنيور.. مالذي أخرك حتى هذه الساعة؟؟
قالها الرجل بسخرية .. ليضيف مشيراً لزوجته:
-مع أني استمتعت للغاية بتأخرك ..
-أيها الوغد ..
صرخ مارسيللو مختنقاً ..وهو يحسم قراره ويسرع ليحتوي جسد زوجته بين يديه وهو يستمر بالصراخ:
-ماذا فعلتم بها ايها المجرم .. ؟؟

قهقه الرجل بتشفي ونهض يحمل الصغير بين يديه ويشير لعدة رجال برزوا من العدم:
-لاتقلق سنيوري.. لقد اعتنينا بها جيداً ..
وغمز بعينه بوقاحة جعلت مارسيللو ينتفض بقهر وهو يقفز مهاجماً اياه:
-حقيييييير...
تراجع الرجل خطوة للوراء وهو يضحك .. لتدور الدنيا كلها أمام عينيه .. ويسقط فاقداً للوعـي .. بعد أن تلقى ضربة قوية بمايشبه العصا الغليظة لمؤخرة رأسه ..
لم يعرف كم ظل فاقداً للوعي .. كل مايتذكره هو أنه استيقظ ليجد أن الظلام لايزال منتشراً وهو مقيد الى كرسي ..
أمامه تجلس زوجته وبين يديها طفلهما ..
هي كانت شبه فاقدة للوعي وتهذي ..
وطفله يبكي باستمرار..
نظر حوله ليجد الرجال .. ينتظرونه بصبر ..
-أخيراً .. ظننتك ستنام للأبد ..

-لن أغفر لكم ابداً ..
همس مختنقاً .. فاقترب منه الرجل وهمس بوحشية:
-أخبرنا عن الشاهد سنيور.. أخبرنا عن الشاهد وسوف نتركك وعائلتك ..
بصق مارسيللو في وجهه بحقد وصرخ بجنون:
-لن تعرف مني شيئ واحد .. وسأحرص بنفسي على تحطيمكم واحد تلو الاخر.. أيها المتوحشون ..
وقف الرجل ببرود يمسح اثر البصقة عن وجهه .. قبل ان يشير لرجل أخر.. فيتقدم وبيده زجاجة ممتلئة برائحة نفاذة ..
سرعان ماصبها كلها فوق رأس زوجة مارسيللو وطفله ..
بنزيـن .. !!
فكر بذهول وذعـر..
بدأ يحاول التحرر من قيوده بجنون وهو يصرخ بلاتوقف والرجل يصيح:
-أخبرنا عن الشاهد الأن لتنقذ عائلتك سنيور..
يومها بكى بمرارة .. انسابت دموعه بقهر.. شهق بالاسم صارخاً أن يتركوا عائلته ..
-أرجوك فط أفلتهم .. دعها تذهب ..
اقترب منه الرجل بابتسامة عريضة وقد حقق مراده:
-بالتأكيد سنيور.. سأتركها وطفلك .. ولكنني..
وأخرج علبة ثقاب من جيب سترته بهدوء قاتل .. تجمدت له كل أطراف مارسيللو وكأنما يشاهد عرض فيلم بطيئ.. والرجل يشعل عود الثقاب ويوجهه الى عائلته:
-سأكون غبياً ان فعلت وتركت احدكم على قيد الحياة ..
وتحت أنظاره الذاهلة ..
رمى عود الثقاب .. لتتحول عائلته بلمحة بصـر ..الى شعلة حية .. تحترق ببطئ..
سمع قهقهة من بعيد ..

" مع تحيات سنيور جالياني"
سمعها تدوي وهو يحاول التخلص من قيوده كالمجنون عله ينقذ بعض من عائلته .. وليته بقي مقيداً ..
ليته لم يفر من الحبال التي قيدته الى الكرسي..
ليته بقي هناك يحترق الى الابد مع عائلته ..
لم يعرف ماحدث الا بعدها بأيام طويلة .. النار التي شبث بعثت بالشرطة ..
عائلته تفحمت أمام عينيه .. وهو .. نال نصيبه من النار.. بصورة لم يتوقعها أحد .. نجى ..
بعد صراع طويل في غيبوبة استمرت لشهور ..
وحين استيقظ .. كان مجرد رجل فقد كل شيء ..
فقد عائلته .. وكل ماكان يصبوا لتحقيقه من أحلام بسبب مجرم حقير..
كان مشوهاً .. وجهه لفحته النار ولم تتركه على حاله .. جسده كله تعرض لنسبة كبيرة من الاحتراق .. حتى صوته .. وبسبب الاختناق بالدخان كان مشوهاً .. غليظاً ..
وظلت الذكرى تحرقه من الداخل .. تقتله ببطئ..
وهنا جائت عائلته ..
عائلة والده الثرية ذات النفوذ .. أخفته عن كل العيون وعرف أنهم أخبروا الجميع انه قضي في الحريق ولم ينجوا ابداً .. ونقلوه الى توسكاني .. مسقط رأسه حيث عاش لفترة طويلة ليستعيد بعض عافيته ..
ويفكر بهدوء .. بالانتقام ..
فتح مارسيللو عينيه حينها ..
دموعه تغرق وجهه .. رغماً عنه بكى للذكريات التي حطمته بقسوة ..
نهض بسرعة ..يحاول أن يلتقط بعض



أنفاسه التي اختنقت بالعبرات .. يكفي ذكريات ..لقد حقق انتقامه .. حققه ودمر الرجل الذي قتل عائلته .. حققه وجعله يتوسله باكياً ..

أخذ نفساً عميقاً.. وغادر مكتبه الى غرفته .. دون ان يمر بتلك العاشقة التي تنام بالغرفة المجاورة .. أبداً.

***

-تعاااالي معي ..
-لاحبيبي .. أنا اخشى الخيول ..
-لاااااا .. تعالي معي ..
تذمر بيرتو فضحكت بحنان وهي تضمه اليها .. تتنشق رائحته العطرة .. التي ذكرتها بحضن والده ودفئه ..
غمرها دفئ لذيذ جعلها تحمر خجلاً وتنزل الصغير أرضاً هامسة:
-لاتغضب مني بيرتو حبيبي.. ولكنني حقاً اخاف الخيل ..
زم الصغير شفتيه بحنق قبل أن يلتفت كليهما للصوت الحازم:
-ماذا تفعل لأمك بيرتو .. ؟؟
نظرت له بعينين متسعتين وهي تسمعه يزجر الصغير الذي اندفع يروي مشكلته بصوت حانق .. لم تستوعب شيئاً وهي تغرق في بحر عينيه الرمادية وطلته السوداء المهيبة ..



وشعرت بذاتها تحترق وهو يتقدم ليجلس الى جوارها .. تصلها ذبذباته بقوة ..
احمر وجهها بقوة وهي تشعر بوجوده المهول الى جوارها ..
-سيليا ترفض ركوب الاحمر معي بابا..
-على ما اتفقنا بيرتو .. ألم نتفق أن سيليا هي أمك الان..
اومأ الصغير تحت تأثير النبرة المؤنبة .. لتسارع هي:
-لايزال الوقت مبكراً ..
نظر لها بكسل .. ليخفق قلبها بقوة مؤلمة وهو يهمس:
-لا .. لقد تاخر بالفعل سيليا..
اه كم يبدو اسمها من بين شفتيه أمراً مشوقاً .. كأعجوبة صغيرة فعلت الكثير لدقات قلبها المتخبطة اصلاً ..
مد يده يلامس شعيرات قليلة تمردت على حزم رباطها البائس .. لتلامس أصابعه
بطريقة ما وجنتها العاجية .. ويتوه هو في نظرتها الهائمة التي صعقته بلاتردد ..
-باباااااااا..
انتفضا معاً على صوت الصغير الحانق:
-متى سنمتطي الاحمر..؟؟
قهقه مارسيللو بارتباك وهو يبعد يديه عنه .. وكأنها سحر لايقدر على مفارقته
ونهض من جوارها يحمل طفله بين يديه:
-في الحال .. هيابنا سيليا ..
قالها وهو يمد لها يده الاخرى .. لتتشبث بكفه كالمسحورة وترافقه بلااعتراض..
وفي الحظيرة كانت تقف مذعورة أمام الخيول .. وراته يقترب من بعيد بيده لجام مهرة حمراء اللون .. ثائرة الشعر الأصهب ..
تراجعت هي بذعر ليوقفها بحزم بنظراته .. فتتسمر وتراقب دلال المهرة بعينين لاهفة .. رغماً عنها ..
-هذه جوليـا ..
تأملتها بترقب فضحك وهمس:

-داعبي رأسها .. انها حساسة للغاية وقد تحزن من خوفك .

ابتسمت مرغمة .. ومدت يدها بتردد .. تداعب أنف المهرة التي لم تترك الخيال لدلالها بل مرغته في يد سيدتها مماجعلها تضحك باستمتاع لملمسها المخملي :

-انها رائعة ..

ابتسم باتساع وهمس:

-انها لكِ..

اتسعت عينيها بذهول .. فاقترب يعطيها اللجام:

-اعتني بها .. ولاتجعليها تغضب منك ابداً .. فالخيل حساسة .. وسريعة التاثر.

اومأت بتردد .. وهي تلامس حرير المهرة التي حركت راسها برضا وغرور.. لتضحك هي بمرح خلب لبه للحظات قبل أن يشيح عنها ويهمس:

-سأساعد بيرتو ..

رأته حينها يرفع بيرتو على صهوة مهر أحمر اخر صغير .. وينطلق به في المرج بحرية .. وهو يقهقه بمرح .. ليعود اليها هامساً:

-هل ستمتطينها اليوم؟؟

تراجعت بذعر وهمست:

-لا .. أنا .. أأخاف..

ابتسم وأمسك يدها بين يديه:

-لن تخافي أي شيئ معي بعد اليوم .. اتفقنــا..

اومأت مشدوهة لتتسع ابتسامته ويجذبها:

-تعالي لأريك حصاني ..

تبعته الى حيث انتصب الحصان ناصع البياض .. بعرف اشقر بديع وهمس:

-انه فالكون .. صديقي القديم..

كان الحصان آية في الجمال .. صهل الحصان وكأنما يؤيده .. فابتسم مارسيللو واتجه ليسرجه قائلاً:

-لم أعد اسرجه منذ سنوات .. ولكنني اليوم سأفعلها من اجلك ..

-أنـا..؟!
تساءلت مندهشة ليجيب ببساطة:
-نعم بالطبع .. سترافقينني..
وتحت عينيها المندهشتين امتطى الحصان بسهولة .. ومن علوه مد يده اليها:
-هيا ..
نظرت له بذهول قبل أن تستسلم للنظرة الصلبة من عينيه وتتشبث بكفه الممدودة ويرفعها هو بسهولة على ظهر الحصان .. لتجلس أمامه .. قريبة منه .. وتستند ظهرها على صدره .. اقترب منها بشكل خطير.. حتى بات يحيطها كلياً .. شهقت بخفوت وذراعه تحيط بوسطها تقربها منه أكثر.. جاورت أنفاسه عنقها وهمس:
-تشبثي..
تشبثت كما قال .. بساعديه .. ليلكز حصانه بقدمه .. وبخطى سريعة .. معتادة انطلق الرمح الابيض راكضاً ..

لتصرخ بفزع وتدفن رأسها في سواد قميصه ورائحة جسده المهلكة ..
شعرت بقشعريرة تمر عبره اليها .. رفعت وجهها اليه لترى تلك النظرة في عينيه .. والتي لم ترها قط من قبل .. نسيت أين هي .. نسيت المكان والزمان .. تاهت في عينيه .. ورفعت يدها تلامس وجنته الخشنة ..
همست باسمه .. فأغمض عينيه وهمس:
-لربما وقعت بغرامك ياصغيرتي.. لو لم يكن قلبي قد احترق .. لربما ....
شهقت بألم:
-مارسيللو ..
اااه سيليا .. لو التقينا .. قبل الزمان .. قبل الألم .. قبل أن أموت .. لو التقينا ..؟!
همس بمرارة .. وقبل أن تعترض كان يضمها أكثر.. ويغرقها في قبلة يائسة .. حملت مرارة الدنيا .. وسحر لم تشعر به قبلاً .. عانقته بيأس يقاتل يأسه.. يحاول الانتصار عليه .. ولم تقدر..

انهمرت دموعها تغرق وجنتيها بألم ..
-لاتبـكي ..
همس بحنو ..
فشهقت بالبكاء .. أكثر وأكثر ..
أوقف الحصان على مبعدة من الاسطبلات ..
ترجل وأنزلها واياه .. كانا وسط الغابة
القريبة من الاسطبلات ..عند ذاك الكوخ
حيث احتجزت من قبل .. همست مترددة:
-أين بيرتو؟؟
-لاتقلقي .. سيكون بخير..
همس بتوتر.. ووقف ينظر اليها .. كانت
تجفف دموعها وتشيح عنه .. اقترب منها ..
أمسكها من كتفيها بقوة .. وأدارها نحوه..
رأى عينيها منتفختين بأثر البكاء.. لامس
رموشها يزيح عنها أثر الدموع:
-ألم أقل لك ألا تبكي ..
-أنا حمقاء..
همست مخنوقة فهز رأسه أن لا .. لتنفجر
بالبكاء وهي ترتمي بين ذراعيه ..
ضمها اليه مجدداً ..
يالهي .. أنا أحبـه ..
همست لقلبها بذهول .. قلبها المتجمد ذاب
وسلم لهذا الرجل الغريب المسمى زوجها!!
تحبه ..
تعشقه ..مالذي حدث .. لتسقط هكذا !!
ماذا فعل بها؟؟ وأي سحر صبه على رأسها؟؟!!
رفعت عينيها اليه لترى فقط مايجعلها
تطمئن وتفكر.. ربما .. ربما كان مثلها ..
راته غائب في مشاعر هزتها للأعماق ..
قربها منه بتهور.. أحاط عنقها بكفيه
ونظر في برائتهما التي لمسها بيديه قبلاً..
قبل عينيها .. يزيل أثر الدموع .. وهمس
بينهما:
-لك اجمل عينين رأيتهما بحياتي..
لم ترد .. جذبها من ذراعها الى الكوخ ..
لايدري لما ولكنه يحتاج لأن يكون معها
..

أغلق الباب دونهم ومضى ينظر اليها ..
-ماذا نفعل هنا؟؟!!
همست مترددة .. فاقترب منها ببطئ ..
يريـدها .. !!
خفق قلبه بألم ..لامس وجنتها بظهر يده لتقترب هي منه .. وكأنما فقدت خوفها في مكان ما ولم تعد تراه ..
تغلبت رغبته عليه .. شعر بعمى يجتاحه فلم يعد يريد سواها .. ولايتذكر الا المرأة التي بين يديه .. ضمها بقوة .. يأسر شفتيها وجسدها النحيل تحت قبضته القوية ..
استسلمت دون اي مقاومة ..
أحاطت به وبادلته القبلات العنيفة .. تحبـه .. وللمرة الاولى في حياتها ..ترغب برجل .. وتتقدم اليه بنفسها!!
حملها الى السرير الخشبي في الركن .. دون أن تبتعد عنه قيـد أنملة ..
انها زوجته .. فكر بجنون .. وهو يريدها

بلاتحفظ..
تساقطت خصلات شعرها بجنون على كتفيها .. طويلاً يكاد يلامس خصرها ..
تخللته أصابعه وبات يلامسها برعونة رغباته .. شفتاه تلامسان عنقها الطويل تنزلان الى كتفيها بلمسات خاطفة كادت تطير صوابها ..
همست باسمه بوله .. فغمغم:
-أريدك سيليا .. أريـدك الأن..
-مارسيـللو ..
تمتمت باسمه باستسلام فاق مئات الكلمات تأثيراً عليه ..
عرف انها تريده بالمقابل .. ولم يتوانى باستغلال الامر.. ضمها اليه .. وبشوق سنوات من الحرمان كان يأخذها لعالم لم تعرفه قط من قبل ..
أغمضت عينيها تسافر بنشوتها من أثر لمساته وقبلاته .. تشعر بالضياع .. وحرارة تجتاحها بقوة .. تشعر باختناق يحاصرها

فجأة .. تململت بين يديه .. لاتريد السقوط الى تلك الهاوية ..
لاتريد الوقوع مجدداً ..
فتحت عينيها بقوة وصرخت باسمه وهي تجذب رأسه اليها .. تريد ان ترى عينيه لتشعر بالأمان ..
رأته غارق في نشوته .. عيناه ظلالتان من غمام أسود .. لم تعرفهما قط ..
تملكها الذعر .. همست تناديه:
-مارسيللو .. !!
كفيها مزروعتان على عضلات صدره الغارقة بالعرق ..حاولت دفعه عنها .. ليشدد ضغط ذراعيه حولها بقوة .. يسحق نعومتها على قسوته بلارحمة ..
صرخت تستنجد وقد تهاوت الأرض تحت قدميها .. تشبثتت بكتفيه تريد الخروج من الهوة التي تحاصرها ..
-مارسييللو ارجووك ابتعد عني ..
همست مخنوقة ..
ولكنه كان في عالم أخر .. قبض على معصميها بيديه بقوة حديدية .. وثبتهما فوق رأسها متجاهلاً مقاومتها الضعيفة وهو يهمس لعنقها الناعم:
-لاتقاومينني .. ليس الأن ..
شهقت بألم ..حاولت التخلص من قبضته الموجعة وهي تبكي بهستيريا ..
لا .. ليس مجدداً ..
" لاااااااااااااااا..
صرخت بوجع .. ليست تلك الذكريات مجدداً ..
حاولت التشبث بصورته الحبيبة .. عيناه الحانيتان ..ذلك الأمان الذي اجتاحها معه .. ولكن ..
لازالت صورة شيطانها تهاجمها ..
صوته الخشن .. لمساته القذرة .. أنفاسه الحارة تجاور أذنها ..
" لاتقاوميني" ..

هذا ماقاله ..
اختنقت العبرات .. تشبثت بحنجرتها ولم تعد تقوى الا على التقاط أنفاس خافتة ..
تبقيها حية !!
تحجرت عينيها .. تشبثت بمنظر ما في النافذة ..
ارتخى جسدها تحت ثقله .. سمعته يهمس " فتاة طيبـة"
من كان منهما ؟؟ حبيبها .. أم الشيطـان ..
طفت فوق غيمة ولم تعد تشعر بشيء.. كما في كل مرة كان يأخذها فيها .. جسـد .. مجرد جسد بلاروح !!!
......
شعر بها .. وكأنما ماتت بين يديه !!
نظر لوجهها الشاحب والدموع المتجمدة على وجنتيها ..
-لا .. لا سيليا ..
صرخ بها .. ليس الان ..

-سيليا انظري لي .. انا مارسيللو .. انظري لي انه انا مارسيللو ..
لم تجبه .. نهض ينظر لجسدها المسجى أمامه بذهول .. ماذا فعل؟؟
كيف عاد ليكمل مابدأه شيطانها قبل سنوات !!
كانت الذكرياات تصفعه هو الأخر..
بلارحمة ... بقهر عادت له تلك السنوات التي عاشها يبحث عن شبح ينتقم منه ذاك المدعو جالياني .. الذي حطم عالمه كله ..
وجده أخيراً .. يعيش حياته بالطول والعرض في ميلانو .. لا والأدهى أن لديه عائلة .. لديه ابنة شابة .. سيزوجها !!
كان يراقب كالصقر المجروح.. بعيداً .. يتحين فرصة للانقضاض عليهم وتمزيق كل مايمت بصلة لذاك الرجل ..
وبلارحمة ..
ووجدها .. الملاك البريئ .. بعينين

كالقمر .. وبشرة شفافة كصفحة ماء رائق
..
كانت هي طريقه .. كان والدها يعشق
التراب الذي تمشي عليه دميته الجميلة ..
وكان هو .. سيحصل عليها ..
فعل المستحيل ليعرف متى موعد زواجها ..
ورسم خطته الشيطانية .. استعان بالرجال
واستطاع بدهائه اختطافها ..
لن ينسى ابداً شعوره لاقوي بالنصر حين
وجدها مكومة أمامه ..
طفلة ترتدي ثوب العفاف ..
.....
أغمض عينيه بقهر وهو يتذكر مافعله
بتلك الطفلة التي لم تتجاز السابعة عشر
من عمرها ..
كانت تنتفض كعصفور مبلول .. مذعورة
من كل ماحدث لها .. والأكثر .. مذعورة
منه .. ومن بشاعته التي تختفي خلف القناع
.. الذي زاده رعباً ..
اقترب منها وأشرف بهيبته المفزعة وهمس
بخشونة صوته المحرقة:
-سوف تدفعين الثمن..
-لم أفعل لك شيئاً..
همست بدموعها والتي لم تشفع لها مطلقاً ..
انحنى على كعبيه امامها واقترب بوجهه
المشوه منها لتصرخ مخنوقة وهو يهمس
بشراسة:
-وهما أيضاً لم يفعلا شيئا ..
شهقت بالبكاء .. فنزل بعينيه المظلمتين
ليشمل جسدها المرتجف بنظرة صاعقة
سببت لها قشعريرة قوية ؛
-أنت ستكونين انتقامي.. أنت ستكونين
بديلاً عنهما ..
تراجعت صارخة وهو يمد يده ليحيط
بشعرها الثائر بقبضته بقسوة:
-العين بالعين .. أليس هذا مبدأ المافيا
سنيوريتا..

اتسعت عيناها بذعر.. ماذا يقول؟؟
رفعها بسهولة من شعرها متجاهلاً صرخاتها
القوية وهو يجرها خلفه عبر ممرات
متشابكة .. الى غرفة واسعة .. ليرميها على
فراش وثير .. ويقف أمامها كجلمود .. بكت
بقوة وصرخت بألم:
-ماذا تريد مني؟؟
نظر لها بجمود قبل أن يهمس:
-اريد منك طفلاً .. أعوض به صغيري ..
وبعدها سأحرقك أمام أبيك كما فعل معي
..
اتسعت عيناها برعب .. ولم ترد .. تقدم هو
وهمس:
-لذا أنصحك بألاتقاوميني ..لن تنفعك
المقاومة قط ..
وفعل ماأراد ..
قاومت بشراسة .. حتى انهكتها المقاومة ..
وبدأت تضعف .. حتى بات ضعفها مجهداً
عليها .. فكانت تغرق في غيبوبة كلما
لامستها يداه .. تهرب منه الى عالم
لايحتويه ولاسواه .. كماحدث معها الأن ..
!!
نظر لجسدها المتكور وقد بدأت تستعيد
وعيها .. كما تشير انتفاضتها الحالية
بالبكاء ..
-أنا أسفة ..
همست مخنوقة .. " لابد أنه قد عرف" ..
" لابد أنه قد اكتشف انها ليست طاهرة .."
بكت بمرارة .. بكاءاً تحول لهستيريا
تنتفض لها جسدها كله .. اقترب منها
بسرعة وضمها اليه ..
-لاتبكي .. لاتبكي ..
صرخت بجنون:
-كان شيطاناً مارسيللو .. كان شيطاناً وقد
قتلني ..
اغمض عينيه بقوة وهو يغرق وجهها بين
عضلاته النافرة .. يكتم شهقاتها بأنفاسه

القوية هامساً:
-لقد رحل الشيطان سيليا .. رحل وانتهى الى الأبد ..
احاطته بقوة وصرخت:
-لا .. لايزال هنا .. لايزال هنا!! .. أنا اشعر به مارسيللو ..
انتفض بقوة وكاد يحطم أسنانه بقوة ضغطه .. تباً .. هل تشك فيه ..؟!
نظر لوجهها الغراق بالدموع وهمس:
-صدقيني لقد رحل .. صدقيني سيليا..
بكت بمرارة وعادت تدفن نفسها بين ذراعيه فضمها هامساً:
-لاتبكي .. لاشيء في العالم يستحق دموعك بعد اليوم.
استمرت بالبكاء وكأنما لم تعد لكلماته معنى .. وخوف مهول يجتاحها .. انه يخفي عنها شيئاً ما .. رجل سواه كان ليثور.. رجل غيره كان ليريد ان يعرف السبب كان ليريد ان يعرف السبب كان ليريد معرفة الحقيقة ..رجل سواه لم يكن ليعرف بالشيطان ..
رفعت عينيها اليه .. فتلقفتها قبلته .. تطير بها وبشكوكها في الوقت الحالي ....
.....
تلك الليلة .. نامت بين ذراعيه ..
في غرفته السوداء .. توسدت ذراعه ودقات قلبه ونامت .. لم يحاول أن يمسها مجدداً .. وتركها تغفوا في الامان الذي تشعر به .. وتعشقه .. ضمها بحنو .. وهو يكتشف انها تسللت الى حصونه وسكنت قلبه ..
هل هو الذنب الذي تآكله منذ رماها في وجه ابيها مجرد خرقة ممزقة بعد أن أخذ منها كل شيء.. ليقتل أبيها نفسه بعدها بأيام بعد ان عرف اهل بلدتها كلها بعارها .. أم أنه حقاً قد عادت له بعض الأدمية .. ليشعر بالحب!!
***

في الصباح التالي .. استيقظت لتجده واقفاً
ينظر اليها ..
شعرت بالخجل يتآكلها .. لملمت غطاءها
حولها ومضت تنظر اليه ..
ابتسم بحنان واقترب يجلس مجاوراً لها .. رفع
يده يلامس وجنتها هامساً:
-صباح الخير سنيورا ..
تضرجت وجنتاها بحمرة قانية جعلته يقهقه
بمرح ويقترب ليقطف تلك الثمرة الناضجة
على وجنتها هامساً:
-تبدين شهية في الصباح ..
-مارسيللو ..
اعترضت بخجل ليبتسم ويحيط وجهها بيديه
هامساً:
-وجميلة جداً ..
اتسعت عينيها وقبل ان تعترض كان يغيبها
في عناق رقيق .. جعلها نصف دائخة وهو
يبتعد عنها بخفة قائلاً بصوت متحشرج:

-سنتناول الفطور معاً .. هنا على الشرفة
فأسرعي ..
راقبته بوله .. هاهو يعود لحنوه .. وكأن
ماحدث بالامس مجرد كابوس أخر من
كوابيسها !!
نهضت مسرعة وبعد حمام قصير تأملت
ثيابها الواحد تلو الاخر .. كلها تعود للدار
التي سكنتها .. ماعدا واحد فقط .. بلون
الورد المشرق تحت نور الصباح .. اهدتها اياه
أنيـتا شقيقته قبل زواجها تنهدت بقلق
ولكنها ارتدته .. كان بفتحة صدر
عميقة مثلثة .. كشف عن نحرها الناصع
..وكميه قصيرين بالكاد تلامس مرفقيها
.. تركت شعرها منسدل لأول مرة منذ
سنوات .. وتوجهت اليه ..
لم يصدق عينيه حين رآها .. كملاك
يمشي بين البشر ..
اقتربت وهمست له :
-هل أعجبك ؟؟!!

تقصد الثوب .. فابتسم وهمس:
-أنت تعجبينني ..
خفضت عينيها بحرج .. ليسحبها مجلساً اياها على الكرسي امامه ويهتف:
-لنأكل ..
كانت شهيته مفتوحة اليوم على غير العادة .. وهي بالمثل ..!!
تناولا الطعام بمرح وبعده نزلا سوياً الى الردهة .. كانت العائلة مجتمعة هناك .. حتى بيا وأليساندرو .. الذي مان رآهما حتى قال ساخراً:
-أخيراً قرر العروسان النزول الى الارض..
ثم رمق سيليا من رأسها لأخمص قدميها باعجاب مرير.. :
-يبدو أن تاثيرك على الناس لم يضعف بعد ياابن أخي .. انظر ماذا فعلت بالراهبة الصغيرة ..
ارتجفت سيليا ولكنه لم يترك لها المجال لتهرب .. بل أحاط كتفيها بذراعه ونظر لعمه ببرود:
-هل لديك اعتراض عمي ..؟؟ أم انها مجرد اشياء تقولها بلامعنى؟؟
احتقن وجه اليساندرو لتنهض بيا زافرة بضيق وتغادر في حين أشارت والدته اليه ليتقدم مع زوجته ويجلسا الى جوارها .. ليسرع بيرتو ويجلس وسطهما ..
كانا يشكلان عائلة بسيطة .. سعيدة .. هانئة ..وهذا ماافزعه ..
تجهم وجهه بلحظة بعد أن كان يحتوي سعادة صافية .. وترك نفسه للحظة يغرق في بؤس عارم .. ولكن ..
شعر بلمستها توقظ فيه تلك الشعلة من السعادة .. لمسة خفيفة داعبت ذقنه لينظر اليها باندهاش ويرى صفاء عينيها وهي تهمس:
-الى اين ذهبت؟؟؟!!
نظر لها مبهوتاً للحظات قبل أن تعاوده

الابتسامة ويهمس:
-هنا .. معك ..
ابتسمت بخجل .. ليغرق فيها .. ويمضي النهار .. تلو النهار..
أيام كثيـرة مضت ..
وهو يكتشفها يوم تلو الأخر.. لم يجرؤ ابداً على الاقتراب منها كما فعل .. ولكنها كانت دوماً معه .. تنام بين ذراعيه وتنسيه كل همومه حين يسمع كلماتها الرقيقة في قلب العتمة ..
كانت حياة هانئة لم يرغب بسواها ..
وكانت علاقتها ببيرتو اقوى وأقـوى .. وهذا ماكان يريده ..
حتى جاء ذلك اليـوم ..
..
كان صباحاً كغيره .. ولكنه اختلف .. بشـدة ..
وقف مارسيللو يطالع العديد من الاوراق المتعلقة بالمزرعة باهتمام .. وسط احد الحقول والى جواره بضعة من الرجال وعمه أليساندرو الذي كان يلقي ببعض التعليقات الساخرة من وقت لأخر على النظام القديم الذي تسير به الاعمال هنا ..
حين بدأت الارقام تتراقص امامه .. أغمض عينيه وهو يلعن غباءه لوقوفه تحت الشمس القوية كل هذا الوقت .. وعاد يفتحها بقوة .. ليكتشف ان الارقام لم تعد موجودة أصلاً .. وأن الرؤية تغيب من أمامه ..
أغلق الملف بقوة ورفع عينيه فيمن حوله .. الكل يتراقص بجنون ..
-عمـي ..
همس بضعف وهو يحاول الاستناد بأي شيء حوله .. دون فائدة .. كانت الارض كلها تدور..
-مارسيللو ..
سمع النداء القادم من بعيد .. ولكنه لم يقوى على الرد .. جفاف هاجم فمه

وحنجرته .. ودوار عصف بكل شيء فيه
لتظلم الدنيا كلها فجأة امامه .. !!
......
كان صباحاً عادياً ..
استيقظت مرحة .. ورافقت زوجها حتى غادر
الى المزرعة .. لتقضي الوقت بعدها في
تدريس بيرتوا واللهو معه .. كان كغيره من
الايام .. حتى عادو به محمولاً على الاكتاف
..!!
لم تعرف كيف تصف احساسها وهي تراه
فاقداً لوعيه .. شاحباً وكأنما غادرته الدماء
..
تبلدت احاسيسها وهي ترى والدته تنهار ..
وشقيقته تبكي بهستيريا وبيا تهرب مذعورة
من فكرة انه قد مااات !!
مارسيللو ..
وقفت ساهمة تنظر اليهم يصعدون به الى
غرفته .. ويتصلون بالطبيب .. الذي لم

يتأخر قط ..
عاشت دقائق عصيبة .. تحاول الوقوف ..
لأنها لو سمحت بالضعف أن يتسلل اليها فلن
تقدر على الوقوف مجدداً ..
وقفت تنظر لباب غرفته بصمت .. تضع
يدها على جيبها وتدعوا الله بلاتوقف ..
شعرت بيد توضع على كتفها فلم تتحرك
..
-سيليا .. تعالي معي لن يفيد وقوفك هنا ..
لم تتحرك وهي تسمع كلمات أليساندرو
المواسية ..بل وقفت باصرار .. فزفر بضيق
واتجه الى النافذة .. ينظر عبرها .. طال
الصمت وطال وقوفها أمام الباب .. ترقبه
وكأنما تنظر عبره الى الداخل ..
حتى فتح..
تحركت باتجاهه بسرعة لتجد الطبيب
الذي نظر لها بتوتر:
-كيف حاله؟؟
ابتلع خيمين ريقه :

-ليس بخيـر ...
شهقت بالم وتجاهلت احساسها بالخدر وهي
تركض اليه بالداخل ..
كان يبدو كتمثال من شمع .. وسط المفرش
الاسود .. اقتربت ودموعها تغرقها تمسكت
بيده وهمست باسمه تناديه بضراعة ..
فتح عينيه ببطئ .. وتعب .. حاول الابتسام
لها وفشل .. ماتت الابتسامة على شفتيه وهو
يهمس لها:
-لاتبكي ..
كانت دموعها تنساب على وجنتها بألم ..
دون صوت .. رفع يده بصعوبة ليلامس
وجنتها ويعاود الهمس:
-لاتبكي بعد اليوم ..
شهقت حينها بالبكاء بقوة وارتمت بين
ذراعيه تفتش عن دقات قلبه الصاخبة
..ولكنها كانت بطيئة .. هامدة ..
-ماذا بك ؟؟ مالذي يؤلمك؟؟

همست بمرارة .. ليبتسم مرغماً :
-أنت ألمي الوحيد..
رفعت له عينين متسائلتين .. فلامس وجنتها
وهمس:
-كوني سعيدة لأجلي سيليـا .. حتى اموت
وانا ..
-لا!!!!
صرخت تعترض وهي تغطي فمه بكفيها ..
-لن تتركني بعد أن وجدتك ..
-ولكنني وجدتك فقط كي أموت.
همس مبتسماً بثقل .. فصرخت باكية:
-سأكرهك مارسيللو .. سأكرهك من
كل قلبي لو تركتني.
أغمض عينيه وهمس:
-ولكنك تكرهينني فعلاً ..
-أنا أحبـك ..
همست معترفة بوجع .. فنظر لها بذهول ..
لا لايمكن ماتقول ..
كيف لها أن تحبه؟؟!! هو من قتلها ودمر

حياتها .. مستحيل .. مستحيل أن تحبه مستحيل!!
غطى وجهه بكفيه وهمس بتعب:
-لا .. أنت لاتحبينني سيليا .. لايمكن أن تحبيني.
نهضت من الفراش تنظر له خلف ستار من الدموع الكثيفة وهي تهتف:
-لماذا تفعل بي هذا؟؟ لماذا تؤذيني هكذا؟؟
وقبل أن تسمع منه كانت تركض خارجاً .. حين ارتطمت بخيمين الذي سألها:
-مالذي حدث؟؟
شهقت باكية:
-انه يكرهنـي..
اتسعت عينا خيمين وهو ينظر لبؤسها ودموعها .. ليهمس بادراك:
-أنت تحبيـنه ..!!
غرقت ببكاء عنيف .. وهي تنهار راكعة على ركبتيها ليسرع هو محيطاً كتفيها مهدئاً:
-لاتغضبي منه سنيورا.. هو فقط..
لم يكمل .. اختنقت عبراته فسألته:
-مالذي حدث له ؟؟ ماهو مرضه دكتور؟؟
نظر لها بتردد لترفع عينيها وتنظر ملياً الى وجهه .. لما يبدو مألوفاً؟؟!!
همست له :
-هل التقينا قبلاً؟؟!!
نهض خيمين بسرعة وقال مرتبكاً:
-لا بالطبع .. ربما تلك المرة حين وجدوك في الغابة؟
نهضت بحيرة وهي تتمعن وجهه يطل عليها من خلف ستار كثيف..
-لا .. لم ارك تلك المرة كنت نائمة ولم أرك.
أشاح الطبيب عنها بوجه محتقن وهمس:
-سأعود اليـه..
راقبته بحيرة أكبر .. ثم هزت رأسها بتعب

وهي تعي مافعلته من اعتراف صريح لمارسيللو وتوجهت بخطوات ثقيلة الى غرفة الجلوس حيث اجتمعت كل العائلة .. وجدت السنيورا فاليريا تنظر عبر النافذة وبيا تصرخ بحنق:

-كيف لم يخبرنا خيمين بهذا .. كيف سكت طيلة تلك السنوات؟؟

عقدت حاجبيها بقلق وهي تقف حائرة فيما يقولون .. وأليساندرو يهمس:

-تلك كانت رغبة مارسيللو .. لم يرد ان يشعر أحدنا بالشفقة عليه.

-انها مسألة خطيرة أليساندرو .. لايحق له أن يخفيها .

تدخلت أنيتا وهمست:

-ماذا كان يعني بأن الحريق هو السبب أنا لم افهم..

-حريق؟؟ أي حريق..

تساءلت ساهمة .. فالتفت الكل اليها ..

وهمست بيا بحقد:

-ماذا ألم يخبرك العاشق المتيم عن الحريق؟؟

عقدت حاجبيها بتوتر في حين تدخلت أمه:

-توقفي بيا.. تعرفين ان مارسيللو حرم على الجميع ذكر الماضي.. وبالطبع لم يخبرها.

-ماذا حدث؟؟ أي حريق؟؟

أصرت بفضول .. فتنهد اليساندرو مجيباً بهدوء:

-الحريق الذي قضى على زوجته الاولى وطفله والذي تسبب بتشوه وجهه جزئياً ..

رفت عينيها ..

لم تقدر على التعليق بل ظلت تنظر اليهم بسذاجة وكأنما لم تسمع شيئاً..

وأليساندرو يواصل:

-كان ذلك منذ سنوات طويلة .. وقد أجرى الكثير من العمليات التجميلية ليعود الى ماهو عليه الان..

مارسيللو كان مشوهاً؟؟!!

مارسيللو .. كان محترقاً ..
ضربتها الكلمات بقوة حتى لم تعد تقدر على سماع شيء أخر .. عادت لها رائحة الجلد المحترق .. النبرة المشروخة .. القناع الأبيض.. شعرت بالاختناق ..
تراجعت خارجاً .. متجاهلة نداءهم الملح .. عادت بخطوات متعثرة الى غرفته ووجدت ذاك الطبيب..
نظرة واحدة فقط الى وجهه ..
نظرة واحدة فقط .. اتسعت عينيها بذهول .. والستار الكثيف على ذكرياتها ينقشع .. وقفت أمامه مذهولة وعقلها يسبح الى سنوات مضت .. ماضٍ صفعها بقوة ..
...
كانت تحمل طفله في أحشاءها ..
منذ عرف بحملها وهو لايقترب منها قط ..
حتى انها لم تعد تراه .. لم تعد ترى سوى تلك الممرضة التي تعتني بها يومياً وتحرسها من القيام بأية تصرفات هوجاء ..
كانت تبقى مستيقظة طيلة الليل وتنام بالنهار.. حتى لاترى أحد ..
حتى الطفل الذي يكبر يوماً بعد يوم كانت تكرهه ..
لاتريده .. حين عرفت بأنها حامل ظلت أياماً طويلة تصرخ بهم أن يخرجوه منها ..ابن الشيطان الذي لوثها !!
ولكن مع الوقت .. تعلقت به ..
كان ونيسها .. كانت تسهر الليل تحاكيه بحنو .. كان السبب الوحيد لبقاءها على قيد الحياة ..
حتى جاء موعد ولادتها..
كانت تبكي شوقاً لرؤية الصغير.. تبكي بحرقة وألم لتراه ..
هناك رأته ..
الطبيب نفسه ..!!!
هو من ساعدها على الولادة .. هو من حمل طفلها بين يديه ليريها اياه ..

" انه صبـي قوي"
همس لها بفرح ممتزج بالتوتر ..
" أريد ان أضمه "
همست تستجديه .. ولكنه لم يفعل .. بل
احتقن وجهه وهو ينظر الى الباب .. الى
الشيطان الذي جاء يأخذ وليدها بكل برود
.. اتسعت عينيها بذعر وصرخت:
-أريد طفلي ..
رفع الطفل اليه .. تنشق رائحته بقوة ..قبل
أن يقبل جبينه المجعدة بحنان فائق ..
-أريد طفلي ..
صرخت مجدداً بقهر .. تبكي بدموع غزيرة
..
رفع لها عينين داكنتين خلف القناع
الابيض وهمس:
-العين .. بالعين .. لقد انتهيت منك
سنيوريتا.. لقد اعطيتني ماأردته .. وانتهى
الأمر..

اتسعت عينيها بذهول وهي تراه يرحل ..
صرخت وصرخت .. بكت بدموع امتزجت
بالدماء من فرط قسوته ..
كرهته .. حقدت عليه .. حين اعادها
لوالدها مكللة بالعار.. انتحار والدها ..
وفوق كل شيء .. حرمانها من طفلها!!
كان هـو ..
نظرت لخيمين .. ومنه الى الرجل المسجى
على الفراش وهمست بدموعها:
-هو؟؟!!
شحب وجه خيمين .. لم يجبها ..
تقدمت هي اليه .. رأته يفتح عينيه ..
شهقت بوجع وصرخت:
-هو أنت .. أنت الشيطاااان ..
اتسعت عينا مارسيللو .. مستحيل .. مستحيل
أن تكون قد عرفت بأمره ..
مستحيييييييل..
نهض من فراشه بصعوبة وهتف:
-لا .. لا حبيبتي .. شيطانك مااات ..

صدقيني .. شيطانك مات ودفنته بيدي ..
-كاااااااااذب ..
تراجعت مصعوقة .. نظرة تقارب الجنون تلمع في عينيها:
-كنت أنت .. طيلة ذاك الوقت كنت أنت؟؟!!
وتحولت النظرات في عينيها لنظرات مذعورة جزعة .. تتراجع تهذي:
-لا .. لااريدك .. دعني ارحل .. دعني ارحل ..
-سيلياااااااااااااا
صرخ بقوة وهو يراها تتراجع لتصرخ بقوة جعلته وخيمين يجفلان وهي تستدير راكضة .. تهرب .. لاتريد سوى الهروب .. لا .. ياربي لا ليس هو ..
صرخت بهذيان وهي تطوي المسافات بسرعة كبيرة .. تخلصت من حذائها .. رمته على الدرج وهي تركض تفر بحياتها .. ركضت

وركضت .. لم تعرف الى اين تذهب كل ماكان يهمها هو الهروب من شيطانها ..
وقعت على الارض شاهقة .. تمزق العشب الندي بأصابعها وهي تذرف دموعها بلاقياس !!
تناثر شعرها حولها وبات صدرها يخفق بقوة بلاهوادة .. شهقت بدموع من نار احرقت وجنتيها بحريق قلبها المشتعل توسدت ذراعيها على الارض ومضت تبكي بهستيرية ولم تقدر على التوقف عن البكاء والعويل...
وقف هو مسمراً ينظر اليها لاهثاً بقوة من فرط الركض الذي اضطر له بعد هروبها من امامه بتلك الطريقة..!!
لم يتصور ولو بأكثر أحلامه قتامة ان تعرف هكذا؟؟
ان تكتشف امره قبل ان يموت كما فكر..
نظرتها المستنكرة المريرة مزقته من

الداخل دموعها التي اغرقتها من فرط
صدمتها ادمت قلبه !!
لم يعرف كيف يمكن ان يواسيها ولكنه
لم يجرؤ على تركها وحدها ابداً كان عليه
اللحاق بها مهما حدث كان عليه اللحاق
بها... اقترب من جسدها الممدد على الارض
وتهالكت ساقاه الى جوارها وهو يهمس:
-سيليا..
انتفضت بذعر وتراجعت عنه ليرفع ذراعيه
بسرعة وهو يهمس:
-لاتخافي مني سيليا ارجووك.
-ابتعد عني لاتقترب مني ابدا.
كانت عيناها متسعتان بذعر خالص ذكرته
بنظرتها له في تلك الايام قبل سنوات حين
كانت تنظر الى شيطانها فهتف بقوة:
-لاتنظري لي هكذا سيليا لاتخافي مني.
-ا... أأنت ..انت هو؟؟!!
تأتأت بقهر ممزوج بالرعب فأغمض عينيه
بيأس:
-لا لا لاتقولي هذا سيليا انت مخطئة هو
قد مات ...مات منذ رآى وأدرك مافعله بك.
-انت هو.
لم تتوقف عن ترديد هذه الجمله بهذيان
ليقترب منها اكثر هامساً بيأس:
-لاتقوليها سيليا لاتفكري به.. لقد مات
شيطانك مات منذ سنوات ودفنته بيدي.
نظرت لوجهه الشاحب الممزق من الالم:
-من تكون انت ؟؟ من تكووون؟؟
-انا حبيبك سيليا انا الرجل الذي تحبين..
-لاااااا!!!
صرخت بوجع وهي تتخلص من قبضتيه
اللتان امتدتا اليها بلهفة:
-انت الشيطان ...انت قتلتني مارسيللو انت
قتلتني بلارحمة..
تسمر ينظر اليها والدموع تغرقها كان
يشعر بنفسه يكاد يموت ولايجرؤ على فعل
شيء لايريد ان يموت وهي تكرهه لقد

فعل مستحيل كي يعيدها الى حياته ولن يخسر الان ابداً...حاول الكلام .. التبرير ولكنه لم يقدر.. نظر لها بعجز فصرخت بجنون:

-كنت أنت من قتلني .. كنت أنت من حطمني .. أنت شيطاني الذي لم يفارقني ابداً..

واقتربت منه صارخة بوجع:

-لماذا مارسيللو .. لماذا فعلت بي هذا .. ؟؟

اقتربت منه تضرب قبضتيها الصغيرتين على صدره وهي تغرق في هستيريا جديدة:

-كيف فعلت بي هذا لماذا.. ؟؟!!

-توقفي سيليا .. توقفي ..

أمسكها بقوة وحاولت التخلص منه صارخة بحقد:

-أكرهك .. أكرهك مارسيللو .. أكرهك ..

هزها بعنف وهو يصرخ:

-توقفي .. قلت لك توقفي ..

نظرت له بحقد .. عينيها شعلتان من غضب جارف واحساس مقتول ودموع تهدد بالفيضان من جديد .. حين رأت ملامح وجهه القوية تضعف ويكتسحها الشحوب مجدداً .. وقبضتيه على معصميها ترتخي ونظرة عينيه الحازمة تخبو .. وقبل أن تتحرك .. كان يسقط مكوماً تحت قدميها بلاحراك..!!

***

لم تعرف كيف مضت كل تلك الايام .. أيام مغلفة بالاسى والألم .. لاتعرف كيف عاشتها .. ابداً ..

قابعة في غرفتها لاتقابل اي أحد.. خائفة من الجميع .. مشوشة .. ذاهلة .. لكل ماعرفته وكل ماحدث..

بكت كمية دموع لم تتخيلها .. بكت حتى جفت الدموع ولم تعد تقوى على أن تشهق دمعة واحدة فقط ..

هذه الليلة كانت تجلس على الشرفة معلقة
عينيها بالظلام خارجاً حين سمعت الطرقات
على الباب.. تجاهلتها كالعادة ولكن
الطرقات استمرت ... لم تتوقف ..
نهضت بتثاقل وفتحت الباب ..
وجدت أمامها خيمين.. تحجر وجهها وهمست
بشحوب:
-ماذا تريد مني؟؟
خفض خيمين رأسه :
-هناك مايجب علي أن أقوله لك سنيورا.
لم ترد .. ولم تغلق الباب في وجهه .. رفعه
اليها وسارع بالقول:
-يجب أن تعرفي بأن مارسيللو يموت ..
لم تهتز شعرة واحدة من وجهها .. بعكس
قلبها لاذي صرخ بوجع شديد .. وتخبطت
نبضاته بلارحمة ولاتوقف .. وخيمن يواصل:
-مالاتعرفينه ان الحروق التي أصابت جسده
كانت خطيرة للغاية ولولا عناية الله لكان
مات وقتها .. ولكن عزيمته القوية هي ما
انقذته..
مارسيللو بعد تعافيه من الحروق اكتشفنا
اصابته بفشل كلوي .. بسبب تعرضه
للجفاف بعد الحريق..
لم تتحرك عضلة في وجهها ولايزال قلبي
يدمي وخيمن يواصل:
-هو لن يعيش طويلاً .. ولايريد منك الا أن
تسامحيه .. هذا كل مايريده سنيورا..
...
سيموت ..
تهادت الكلمة الى مسامعها جعلتها تنتفض
.. وبدون ارادة منها تسللت دمعة قهر الى
وجنتها بعد ايام من الجفاف ..
-لماذا ستتركه يمووت ؟؟
اتسعت عينا خيمن ولم يرد وهي تواصل
بوجع:
-لماذا عليه أن يرحل .. ويقتلني مرتين ..
-سنيورا ..!!

حاربها .. أتكرهه أم ..
ولم تمهله سيليا .. بل همست بعذاب:
-لم اعد أعرف مايجب أن أفعل .. أكرهه لما فعله بي.. أم أسامحه لأنه أعاد لي الحياة ..
نظر لها خيمن للحظات قبل أن يهمس:
-استمعي لما لديه ليقوله .. استمعي لدفاعه .. وقرري بعدها ..
أغمضت عينيها بألم وفكرت .. ولم يطل تفكيرها قط ..

......

كان محتجزاً في مشفى ..
لقد خسر الكثير من وزنه .. الكثير وبات ناحلاً .. شاحباً .. كان يمووت ..
دخلت الى غرفته مترددة .. تقف الى جوار الفراش ..تنظر له بيدين متشبثتين ببعضهما خوفاً ان تطاوعا قلبها الخافق بلهفة ورغبة للمسه من جديد !!
فتح عينيه .. قليلاً لتتسعا بعدها بذهول وهو ينظر اليها ..
-سيليا ؟؟!!
همس بخفوت فابتلعت ريقها وهمست مختنقة برغبتها في البكاء:
-أردت أن تراني.. ؟؟!!
تلفت حوله باندهاش .. لايصدق انها أتت .. انها تريد ان تستمع له .. أن تفكر بمسامحته..
-أريد أن أخبرك الحقيقة .. كلها ..
بللت شفتيها بطرف لسانها وجلست امامه بانتظار ماسيقول .. لاتزال تجبر نفسها على عدم الهرب والرحيل ..
وانطلق بالحديث لها .. حكى لها كل شيء.. منذ البداية .. حتى وصل الى مافعله بها ..
كان صوته يخذله مختنقاً وهو يرى دموعها وهي تتذكر ماحدث بينهما ..
"كنت السبب بأن اعود لماكنت عليه ياسيليا .. كنت انت من أعادني لوعيي

ورؤيتك تذوين امامي بتلك الطريقة.. يوم
اعدتك لوالدك شبه ميتة ومكللة بالعار
.. يومها قتلت الشيطان الذي سكنني ..
يومها مات شيطانك الذي عذبك وجرحك
بلارحمة سيليا.. يومها قررت انني يجب أن
أعود كما كنت .. ولذا سافرت الى انجلترا
واجريت العملية تلو الاخرى ..حتى أعود
كما كنت .. لأربي ابننا .. ابننا بيرتو .. "
شهقت بالبكاء حينها ..
كانت تفكر بولدها كثيراً .. كانت
تفكر اين هو وماذا يفعل .. فكرت بأنه قد
يكون بيرتو ولكنها لم تتأكد ابداً حتى
الأن ؟؟!!!
-سيليا ...
ناداها بخفوت ..
-لقد قتلتني مارسيللو .. ذبحتني بلارحمة ..
هتفت بمرارة .. فأجاب بوجع:
-انت متِ يوماً سيليا .. كما متُ انا ..وكلانا
عاش ميتاً لفترة طويلة .. ولكن .. الان
عدنا معاً للحياة ..
نظرت له يائسة فمد يده لها بألم:
ألا يكفي ماحدث سيليا .. ألايكفي لأن
نترك الماضي ميتاً .. ونعيش نحن .. حياة
جديدة ..
بكت بقوة فأضاف:
-ارجوك سيليا .. اغفري لي ماحدث ..
سامحيني فلقد تعذبت بما يكفي .. وليس
لدي وقت لأعيش في الذنب والحزن أكثر..
سأموت سيليا .. فلاتجعليني أموت بذنوبي ..
شهقت بمرارة .. وأخفت فمها خلف كفيها
وهي تصرخ:
-لاأريدك أن تموت ..
رفع حاجبيه لاعترافها وقال بأمل:
-أتعنيـن .. أنك تسامحينني ..؟؟
هزت رأسها نافية وهمست:
-سأحتاج لوقت طويل جداً لأسامحك على
كل مافعلته بي مارسيللو .. وأحتاجك حياً

لكي أفعل..
-لاوقت لدي سيليا ..
صرخ بيأس فصرخت بالمقابل:
-يجب عليك ان تعيش مارسيللو .. كي أسامحك يجب أن تعيش ..
ونهضت من كرسيها هاتفة:
-أثبت لي بأن شيطاني قد مات .. أثبت لي بأن الماضي كله قد مات .. حينها فقط قد اتركه ميتاً ..
نظر لها بحيرة .. لتقترب منه تحيط وجهه بكفيها:
-أنت قمت بمعجزة باخراجي من قوقعتي مارسيللو .. وأنا الأن اومن بالمعجزات ..
-سيليا ..
همس .. لتبتعد عنه مضيفة:
-ستعيش من أجلنا مارسيللو .. أنا وبيرتو .. ستعيش لأن بيرتو يحتاجك .. وستعيش لأنني أيضاً احتاجك فبسببك انت لم يعد لي أحد .. قط.
طالت النظرات بينهما لحد لم تعد تقدر معه على البقاء .. استدارت بهدوء وخرجت من الغرفة لتجد خيمن .. وقفت قائلة:
-سيعيش.. يجب أن يعيش..
خفض خيمن عينيه وهمس:
-هناك أمل واحد فقط .. ولكنه ضعيف للغاية ..
-سيتشبث به .. قل له بأنني سأنتظره ليكفر عن ذنبه .. قل له بأنني أحتاجه ليدفن الماضي معي .. وأنني لن أسامحه قط ان رحل ..
قالتها ومضت تركض خارجة بخطوات سريعة .. تحاول السيطرة على جسدها المرتجف بقوة ..
....
بعد شهرين ..
....
ابتسمت بحنان وهي تراقب ابنها بيرتو يلعب

في الفناء الخارجي للقصر..
كم مضى من الوقت .. شهرين منذ أن رحل ..
ارتسم الحزن على وجهها .. بات ينافس
السماء الداكنة التي بدأت تمتلئ بالغيوم..
لم تتخلص قط من حزنها عليـه .. مهما فعل
في الماضي .. مهما فعل .. سيظل الرجل
الوحيد الذي تحركت له دقات قلبها .. منذ
مراهقتها .. حتى عريسها الاول الذي لم تره
قط بعد اختطافها.. كان يعمل لدى والدها
ولم تكن حتى تعرف عنه الكثير..
تنهدت وصاحت:
-بيرتو تعال لنعود للمنزل ..
لوح لها بيرتو بيديه بقوة واقترب راكضاً ..
ضمته بقوة وعادت معه..
كان الصمت يسيطر على المنزل الذي لم
يعد يحوي سواها والسنيورا فاليريا بعد
انتقال اليساندرو وولده الى ميلانو وبالمثل
انتقلت بيا الى روما بعد التقاءها بمليونير
جديد رمت سهامها حوله ... حتى انيتا
غادرت لصقلية منذ اسبوع في زيارة لقريبة
لهم..
كان القصر ساكناً .. نظرت لصغيرها
وهمست:
-اذهب وخذ بعض الكعك من المطبخ ..
ريثما أغير ملابسي..
اومأ بيرتو وركض الى المطبخ في حين
اتجهت هي الى غرفتها ..
أغلقت الباب خلفها واستدارت للداخل
لتتسمر حيث هي ..
بفم مفتوح من الذهول .. وقفت تنظر
للخيال الذي ارتسم امامها ..
طويل كما اعتادت .. قوي كما كان ..
اسود كعادته ..
"سيليـا"
همس بخفوت .. بشوق ايام طويلة ..اسابيع
عديدة قضاها بعيداً منذ رحل وخيمن الى
انجلترا في رحلة البحث عن علاج .. حتى

عودتهما الان ..
-أنت ؟؟!!
همست بخفوت شديد وكأنما تخشى أن تبدد نبرات صوتها صورته ان كان حلماً ..
-نعم هو انا ..
همس يؤكد .. ليتبعه:
-اشتقت اليك .. والى بيرتو .. اشتقت لك اكثر..
قالها بولع ..
وهو يدرك أنه وقع في الغرام ولم يقدر على نزعه من قلبه .. غرامها الذي اعطاه القوة ليحارب ويقاوم المرض ..وينتصر..!!
وجدت نفسها بين ذراعيه ..
هي ركضت اليه ام هو من جذبها ليدفنها في عبق رائحته ..
المهم انها وقعت بين ذراعيه .. تعانقه بشغف شهور من الانتظار.. بحب يتبلور كل يوم .. وتكتشف قوته بكل لحظة تمضي ..

قبلته جعلتها تحلق بلاتوقف .. تعلقت بكتفيه وارتفعت بقدميها عن الارض وهي تتمتع بقوته ..
-أحبك ..
همست بهذيان .. وهي تتخلل شعره بأصابعها بحنان دافق ..
أحبك ...
قالها بلاتوقف ..
يدور بها بجنون .. تتصاعد ضحكاتها بقوة .. تضمه بشوق كبير.. هوى .. استحكمها وقضى على اي ذكرى تهاجمها .. نظرت في عينيه .. وهمست:
-هل ستساعدني على دفن ماضينا مارسيللو .. !!
غرق في عينيها وهمس:
-لا سيليا .. اتركيه ميتاً فقط .. لقد نال من حياتنا مايكفي ويزيد .. لن ننظر له مجدداً ..

حكاوي الكتب

ابتسمت .. ربما للمرة الاولى التي يرى فيها
مثل هذه الابتسامة المشرقة على شفتيها ..
ولم يتأخر في سلبها اياها .. قبلها بقوة ..
وعمق .. وبادلته اياها بكل قوة ايضاً ..
وقررت الانصات له هذه المرة ..
ستترك الماضي ميتاً .. والى الأبد ..

***

النهاية

عبير قائد 1/4/2013